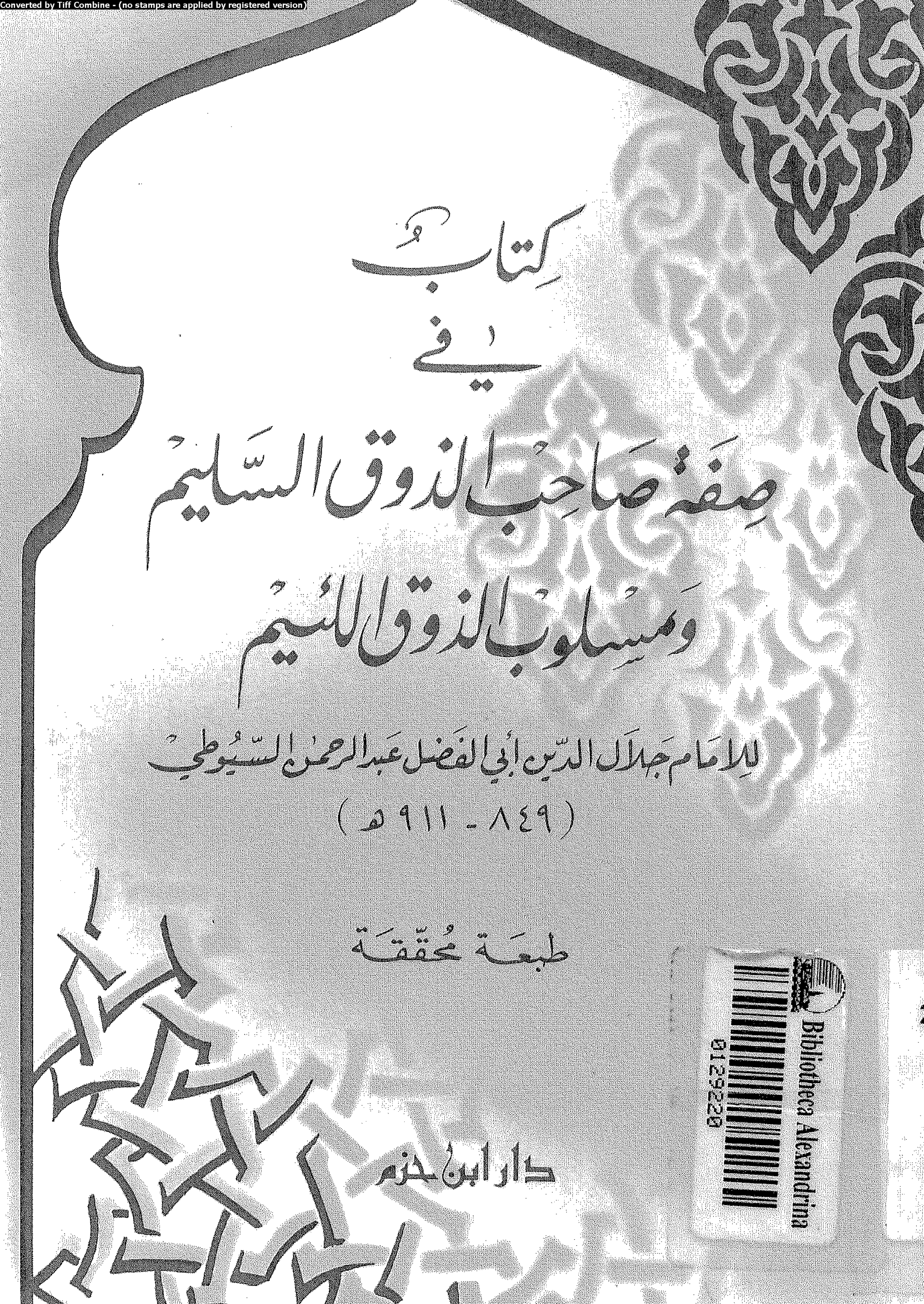


كتاب في صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم

للإمام جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي

(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

طبعة محققة

دار ابن حزم



كتاب
في
صفة صاحب الذوق السليم
ومسلوب الذوق اللئيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتابُ
في
صِفةِ صَاحِبِ الذوقِ السَّليمِ
وَمسلوبِ الذوقِ اللئيمِ

للإمام جلال الدّين أبي الفَضل عبد الرحمن السّيُوطي
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

طبعَة مُحقّقَة

دار ابن حزم

الطبعة الثانية
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدهُ ورسوله.

وبعد:

فهذا جزء لطيف من مقامات الحافظ السُّيوطي في صفة صاحب الذوق السليم والمسلوب الذوق اللئيم، يبدأه بصاحب العقل والذكاء ويذكر من صفاته ويُثَنِّي بِضِدِّه وهو الأحمق، ثم يذكر صاحب الذوق السليم من الملوك وضده ومن الأمراء والأجناد وأبناء الترك والغلمان، ثم يذكر من بعد ذلك القضاة والمُوَقعين والخطباء والكُتَّاب وغير ذلك إلى أن يختم بأصحاب الطَّرَب من المغنين والملحنين ويُنهي كتابه بأرجوزة في مقامات الغناء.

وهو في كل ذلك يَلِجُ مولجاً عامياً لا نقول محضاً، ولكنا حكمنا عليه بذلك لما رأيناه لا يُشدِّدُ في النحو في هذا الجزء بالذات، ويراعي إحكام السَّجْعَة ولو على حساب اللغة والنحو فأضاف شيئاً من الغرابة والطرافة إلى كتابه.

ثم إنه من بعد ذلك أدرج كثيراً من الكلمات التركية الأصل والفارسية التي كانت شائعة في العصر المملوكي الذي هو عصر

المؤلف، إضافةً إلى نهله من موارد العامية وتمثله بسقيم كَلِمِهم وسخيف عباراتهم أحياناً، فجاء هذا الكتاب تحفةً للمستفيدين والدارسين الذين يرغبون في معرفة نشوء العامية وتطورها، ومبلغ ما وصلت إليه في عصر دولة المماليك، وأنموذجاً ماثلاً ودليلاً حيًّا لمن يودّ عقد مقارنة بين عامية ذلك العصر، وعاميَّة هذا الزمان الذي نعيش فيه.

ومن الأشياء التي تضاف إلى معرفتنا: أن عصر المماليك وخاصة في عهدهم الأخير قد تَرَدَّت فيه العربية إلى الحضيض بسبب مجيء حكّام ليسوا من أبنائها كانوا يستقدمون جنداً يتراطنون بالألسنة الأعجمية، فضعُفت هذه اللغة، ولولا أن مَنَّ الله تعالى بحفظها لكان مصيرها الاندثار والبوار إذ كيف يُتصور من أمة أن تحسنها ومملوكها الذي هو سلطانها لا يحسن منها حرفاً إلا ما كان من قليل من السلاطين، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والكتاب لا يخلو من فوائد أخرى، «إذ أصبح الآن يهتم بالمقامات من زاوية أُخرى مغايرة للاهتمام بها من الناحية اللغوية، وهذا الاتجاه الجديد يقوم على الاهتمام بما حوته المقامات من تصوير للمجتمعات التي كتبت فيها، واعتبارها وثائق اجتماعية انحدرت إلينا من العصور السّالفة، ولا يعني هذا التوجه التقليل منها أو نبذ الاهتمام بها من الجانب اللغوي»[1].

فقد صوّر لنا السيوطي في هذه المقامة الفساد العام في عصره، وتكتمل الصورة الاجتماعية لعصره إذا علمنا أنه تطرق فيها إلى الملوك والأمراء والقضاة والخطباء، فضلاً عن تعرّضه للكتّاب وأبناء الترك والغلمان والمغنّين والملحنين.

---

(١) راجع مقدمة «شرح مقامات السيوطي»: (١/ ٨٩).

مقامات السيوطي:

للسيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ مقامات كثيرة، جمع أغلبها وشرحها الأستاذ سمير محمود الدّروبي، في مجلدين بعنوان «شرح مقامات جلال الدين السيوطي» وقدم لها بمقدمة مسهبة عن المقامات، وتعرض فيها لعدد مقامات السيوطي وأسمائها وتاريخ كتابتها ومكانتها في التصوير الاجتماعي لعصره وأسلوبها وتجديد السيوطي في فنّ المقامة العربية، ولم يرد فيها ـ ولا في غيرها ـ ذكر لمقامتنا هذه، على الرغم من أنه قد أُثبت على طرة النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق ما نصّه:

«كتاب في صفة الذوق السليم والمسلوب الذوق اللئيم، تأليف خاتمة المحققين الشيخ جلال الدين السيوطي نفعنا الله تعالى ببركاته ومدده!!، آمين».

وصف النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق:

اعتمدتُ في تحقيق هذا الكتاب على نسخةٍ خطيّةٍ، تقع في (١٧ ورقة)، في كل ورقة (٢٩ ـ ٣١) سطر، وخطه نسخي، وقد قوبل على الأصل الذي نقل عنه، وأثبت الناسخ ـ الذي لم يذكر اسمه ـ بعض التصحيحات على الحواشي.

وفي هذه النسخة أخطاء غير قليلة، وفيها بعض التحريفات والتصحفيات، كما ستراه في موطنه، وهي من محفوظات بعض مكتبات إستانبول، وهي في مجموع، فيه رسائل عديدة للسيوطي، هي:

ـ كتاب «اللمع في أسباب الحديث»، وقد طبع حديثاً.
ـ رسالة «الوجه النّاضر في ما يقبضه النّاظر».

- رسالة «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة»، وهو مطبوع.
- رسالة «في أقسام الحديث الموضوع».
- رسالة «سند المصافحة».
- رسالة «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة»، وهو مطبوع.
- رسالة «النكت البديعات على الموضوعات».
- رسالة «المدرج إلى المدرج»، وهو مطبوع.
- رسالة «التطريف في التصحيف»، وهو مطبوع.
- رسالة «مختصر إيضاح الإشكال».
- رسالة «خلاصة لكتاب التالي للتلخيص».

وفيه أيضاً:

- رسالة «تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات» لابن حجر الهيثمي.

ورسالتنا هذه هي الأخيرة من هذا المجموع، وجاء على طرة الرسالة الأولى ما نصه:

«أوقف وحبس هذا الكتاب: راجي الثواب من الملك الوهّاب الجناب المهاب محمد آغا ابن المرحوم حسن كاشف دويدار الحج سابقاً وقفاً صحيحاً شرعياً، فلا يباع ولا يوهب ولا يرهن، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[1]، في ٢٢/ شهر رمضان/ سنة ١٢٣٩ هـ».

عملي في التحقيق:

قمت بنسخ المخطوط على قواعد الإملاء الحديثة، إذ لم يكتب الناسخ الهمزات، وأثْبَتّ بعض الكلمات من غير ألف في بعض الأحايين، وبالياء بدلاً من الهمزة في أحايين أخرى، وراجعت

---

(١) سورة البقرة: آية (١٨١.

منسوختي بالمخطوط مرة أُخرى، حتى لا يقع نقص أو سقط أو تصحيف، وصححتَ الأخطاء التي وقعت للمصنّف أو الناسخ فيها، ونبّهتُ على ذلك في الهامش، وخرجت الأحاديث النبوية، وشرحت الغريب، وحاولت جاهداً الوقوف على مراد المصنّف، ولاقيت في ذلك صعوبة شديدة إذ سلك المصنف ـ كما أشرنا ـ في هذه المقامة مسلكاً عامياً، مما جعلني أُقلّب كثيراً من المصادر[1]، وأتأمل فيها وأقارب وأسدد وفق الوسع والطاقة.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) وللعلامة أحمد تيمور باشا ـ رحمه الله ـ معجم كبير في الألفاظ العامية المصرية، يقع في ثمانية أجزاء، لم أقف عليه، وأشير إليه في «عيوب المنطق ومحاسنه» له: (ص ٢٠٤).

ترجمة المصنّف

*** مصادر ترجمته:**

ـ من أفرد السيوطي بترجمةٍ مستقلّةٍ:

* تلميذه عبدالقادر بن محمد الشاذلي (ت ٩٣٥ هـ)، ترجم له في كتابٍ موسومٍ بـ«بهجة العابدين بترجمة الحافظ جلال الدين».

* محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت ٩٤٥ هـ) ترجم لشيخه في مجلد ضخم، كما في «معجم المؤلفين»: (١٠/٣٠٤).

* عبدالحكيم السيد عتلم، له «جلال الدين السيوطي»، ضمن مجموعة بحوث أُلقيت في النّدوة التي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ٦/ آذار/ سنة ١٩٧٦ م.

* أحمد الشرقاوي إقبال، له «مكتبة السيوطي»، وهو سجل حافل، يجمع ويصف مؤلّفات السيوطي، طبع في دار المغرب الرباط.

* أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني، لهما «دليل مخطوطات السيوطي ـ وأماكن وجودها»، ذكرا أماكن وجود كتب السيوطي في دور المخطوطات في العالم، وأشارا إلى المطبوع منها، ومكان وزمان طبعها.

* محمد يعقوب تركستاني، له «السيوطي وجهوده في الدراسات

اللغوية» رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، قسم اللغة العربية، نوقشت سنة ١٩٧٧ م.

* علي صافي حسين، له «الإمام جلال الدين السيوطي»، مطبوع في مصر، عن مكتبة الاعتصام.

* مصطفى الشكعة، له «جلال الدين السيوطي، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية»، مطبوع في مصر.

* محمد جلال شرف، له «جلال الدين السيوطي، منهجه وآراؤه الكلامية»، مطبوع في بيروت.

* عدنان محمد سلمان، له «السيوطي النَّحْوي»، مطبوع في بغداد.

* «فهرست أسماء كتب السيوطي» مخطوط، ذكر صاحبه أسماء كتب السيوطي، تقع في خمس لوحات.

هذا، وقد ترجم السيوطي لنفسه في:

* كتاب مطبوع، واسمه «التحدّث بنعمة الله».

* وترجم لنفسه أيضاً على عادة المؤرّخين والمحدّثين في كتابه «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»: (١/٣٣٥ - ٣٣٩).

* وللعلامة أحمد تيمور باشا كتاب «قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه»، مطبوع في المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٤٦ هـ.

ـ من ترجم له في مجموع:

* السخاوي في «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»: (٤/٦٥ - ٧٠).

* نجم الدين الغزّي في «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة»: (١/٢٢٦ ـ ٢٣١).

* الشوكاني في «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»: (١/٣٢٨ ـ ٣٣٥).

* ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب»: (٨/٥١ ـ ٥٥).

* العَيدرُوسي في «تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر»: (ص ٥١ ـ ٥٤).

* الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات»: (٢/١٠١٠ ـ ١٠٢٢).

* البغدادي في «هدية العارفين في أسماء المؤلفين»: (١/٥٣٤ ـ ٥٤٤).

* البغدادي في «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»: (١/١٩١، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٧٨، ٤٢١، ٤٧٩) و(٢/٤٧، ٣٨٧، ٤٦٥، ٥٩١، ٦٢٤).

* المكناسي في «درة الحجال في أسماء الرجال»: (٣/٩٢).

* كحالة في «معجم المؤلفين»: (٥/١٢٨ ـ ١٣١) وفي «المستدرك على معجم المؤلفين»: (٣٤٩ ـ ٣٥١).

* الزركلي في «الأعلام»: (٣/٣٠١ ـ ٣٠٢).

ترجمته

*** اسمــــه:**

هو عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين ابن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي. وسمّاه والدُه بعد أسبوعٍ من مولده.

*** نسبه ولقبه وكنيته:**

يحدثنا السيوطي عن نسبه، فيقول:

«وأما نسبتنا بالخضيري، فلا أعلم ما تكون إليه، إلا النسبة إلى «الخُضيرية» محلّة ببغداد، وقد حدّثني مَنْ أثق به أنه سمع والدي ـ رحمه الله ـ أن جدّه الأعلى كان أعجمياً، أو من المشرق، فالظاهر أن النسبة إلى المحلّة المذكورة».

ولقبه: جلال الدين، لقّبه به أبوه.

وكان يلقب بـ «ابن الكتب» لأن أباه كان من أهل العلم، واحتاج إلى مطالعةِ كتاب، فأمر أُمَّهُ أن تأتي بالكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتي به، فجاءها المخاض، وهي بين الكتب، فوضعته.

وكنّاهُ شيخُه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني بأبي الفضل.

* مولده وعائلته ونشأته:

يحدثنا السيوطي عن ميلاده، فيقول:

«وكان مولدي بعد المغرب، ليلة الأحد، مستهل رجب، سنة تسع وأربعين وثمانيَ مئة، وحُمِلْتُ في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل كان من كبار الأولياء، بجوار المشهد النفيس، فبارك علي!!».

أما بشأن عائلته، فيقول رحمه الله تعالى:

«أما جدي الأعلى همام الدين، فكان من أهل الحقيقة، ومن مشايخ الطرق،.. ومَنْ دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولي الحكم ببلده، ومنهم مَنْ ولي الحسبة بها، ومنهم من كان تاجراً في صحبة الأمير شيخون، وبنى مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافاً، ومنهم من كان متجوّلاً، ولا أعرف منهم مَنْ خَدَمَ العلم حَقّ الخدمة إلا والدي».

أما عن نشأته، فيقول:

«نشأتُ يتيماً، فحفظتُ القرآن، ولي دون ثماني سنين، ثم حفظت «العمدة» و«منهاج» الفقه والأصول، و«ألفية ابن مالك».

مما تقدم يتبين لنا أن جلال الدين عبدالرحمن نشأ يتيماً، وكان كمال الدين ابن الهمام وصياً عليه، فتعهده بالرعاية والتعليم، ووهب ذكاءً مكّنه من حفظ القرآن الكريم وسنّه دون ثماني سنين، ثم حفظ كثيراً من المتون والكتب في الفقه والنحو واللغة وغيرها من الفنون.

* اشتغاله بالعلم وشيوخه ورحلاته:

يقول السيوطي رحمه الله تعالى:

«شرعتُ في الاشتغال بالعلم من مستهلّ سنة أربع وستين، فكان أوّل شيء ألّفته «شرح الاستعاذة والبسملة» ولازمتُ في الفقه شيخ الإسلام علم الدين البُلقيني، وشيخ الإسلام شرف الدين المناوي.

ولزمتُ في الحديث والعربية شيخنا الإمام تقي الدين الشبلي، فواظبتُهُ أربع سنين، ولم أنفكّ عنه إلى أن مات.

ولزمتُ شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي، فأخذت عنه الفنون، وكتب لي إجازة عظيمة.

وسافرتُ بحمد الله إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور.

وأفتيتُ من مستهلّ سنة إحدى وسبعين».

ويقول رحمه الله تعالى أيضاً:

«ورُزِقت التبحّر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة».

ويقول أيضاً:

«إنّ الذي وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة ـ سوى الفقه والنقول التي اطلعتُ عليها فيه ـ لم يصل إليه، ولا وقف عليه، أحد من أشياخي، فضلاً عمن هو دونهم، ولو شئتُ أن أكتب في كل فصل مسألة مصنَّفاً، بأقوالها وأدلّتها: النّقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، لقدرتُ على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا قوتي».

فهو ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه السطور يدّعي أنه مجتهد زمانه، ويحدثنا عن الباعث على دعواه هذه، فيقول:

«أقول ذلك تحدّثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر؟! وقد أَزِفَ الرَّحيلُ، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر».

ويصرح ـ رحمه الله ـ بأنه هو مجدد قرنه، في خاتمة أرجوزة له سمّاها «تحفة المهتدين بأسماء المجتهدين» فيقول:

وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يُخْلَفُ ما الهادي وَعَد
وقد رجوتُ أني المجدّدْ فيها، فَفَضْلُ الله ليس يُجْحد

وكان هذا من أسباب منازعته مع عصريه العلامة السخاوي ـ رحمهما الله تعالى ـ، وعفى عنا وعنهما، وصرّح بهذا تصريحاً قاسياً، فقال معرّضاً بخصمه:

«فإنه ثمّ مَن ينفخ أشداقه، ويدّعي مناظرتي، ويُنكر عليّ دعواي الاجتهاد والتفرّد بالعلم على رأس هذه المئة، ويزعم أنه يعارضني، ويستجيش عليّ مَنْ لو هو وهم في صعيدٍ واحد ونفختُ عليهم نفخة صاروا هباءاً منثوراً»[1].

* أهم الأحداث وأبرزها في حياة الإمام السيوطي العلمية:

أما أهم الأحداث البارزة والمهمة التي أثرت في حياة الإمام السيوطي العلمية والفكرية: فإنه أجيز بالتدريس في مستهلّ سنة (٨٦٦ هـ)، وفي هذه السنة كانت، باكورة أعماله ـ كما قدمنا ـ ثم توجه في سنة (٨٦٩ هـ) إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وجمع ما ألفه أو

---

(١) من ديباجة رسالته «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» مدرج ضمن «الحاوي للفتاوى»: (٨٦/٢).

أخذه عن الشيوخ في هذه الرحلة في تأليف سماه «النحلة الزكية في الرحلة المكية».

وعاد السيوطي إلى مصر سنة (٨٧٠ هـ) بعد أن مكث في الحجاز حوالي سنة، ثم قام برحلة إلى دمياط والإسكندرية وأعمالها، وجمع فوائد هذه الرحلة في كتاب «الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط».

وتصدى السيوطي للإفتاء من سنة (٨٧١ هـ)، وفي السنة التي تليها ابتدأ إملاء الحديث بالجامع الطولوني، وكان إملاء الحديث قد انقطع بموت ابن حجر العسقلاني فجدده السيوطي.

وفي سنة (٨٧٥ هـ) نشب نزاع بين علماء عصر السيوطي حول الشاعر الصوفي عمر بن الفارض، فاشترك السيوطي في هذا النزاع مؤيّداً أنصار ابن الفارض ومن ذلك الحين بدأت مصنّفات السيوطي بالانتشار، فدخلت المغرب على يد ابن المحجود المصراتي، ثم وصلت إلى بلاد الروم والشام والحجاز وغيرها، ثم ولي في سنة (٨٧٧ هـ) تدريس الحديث في المدرسة الشيخونية.

وادّعى السيوطي أنه وصل إلى رتبة الاجتهاد في سنة (٨٨٨ هـ)، وفي السنة التي تليها قدم سلطان التكرور إلى مصر، فزار السيوطي، وسأله أن يكلّم له الخليفة العباسي المتوكل في أن يفوّض إليه أمر بلاده، لتكون ولايته صحيحة شرعاً، وقدم أيضاً وزير سلطان الهند محب الدين نعمة الله اليزدي، ودرس على السيوطي بعضاً من كتبه، واشترى بعضها، وأدخلها إلى بلاد الهند.

وفي سنة (٨٩١ هـ) تم تعيين السيوطي في مشيخة الخانقاه البيبرسية، وفي السنة المذكورة كتب السيوطي مقامة «الكاوي في تاريخ السخاوي»، حيث اشتدّ خلافه مع السخاوي وابن الكركي

وغيرهم، وقد أشيع بين الناس في سنة (٨٩٦ هـ) أن السيوطي أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل بر الروضة، فأدّى ذلك إلى ازدياد خصومه.

وقد عهد إليه الخليفة المتوكل على الله عبدالعزيز في سنة (٩٠٢ هـ) بوظيفة قاضي القضاة، فشق ذلك على القضاة، حتى بعث الخليفة ليأخذ العهد الذي كتبه للشيخ، وكادت أن تكون فتنة كبيرة، بسبب ذلك.

وقد ثار صوفية الخانقاه البيبرسية في سنة (٩٠٣ هـ) على شيخهم السيوطي، وحملوه بأثوابه ورموه في الفسقية، وكادوا أن يقتلوه، ثم اختفى السيوطي في سنة (٩٠٦ هـ) عندما تطلبه السلطان طومان باي ليفتك به، واستمر مختفياً مدة سلطنة طومان باي، وهي مئة يوم.

ومن الأحداث البارزة في حياة الإمام السيوطي تفرغه للتصنيف، وترك التدريس والإفتاء، قال الغزي في «الكواكب السائرة»: (٢٢٨/١): «ولما بلغ أربعين سنة من عمره، أخذ في التجرّد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاشتغال به صرفاً، والإعراض عن الدنيا وأهلها، كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك في مؤلَّفٍ أَلَّفَه، وسمّاه بـ«التنفيس»، وأقام في روضة المقياس، فلم يتحوّل منها إلى أن مات، لم يفتح طاقات بيته، التي على النيل من سكناه، وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته، ويعرضون عليه الأموال النّفيسة، فيردّها».

* مؤلفاته:

قال المكناسي في «درة الحجال»: (٩٢/٣): «له تصانيف لا تحصى كثرةً، تُنَاهِزُ الألف».

وقال الشوكاني في «البدر الطالع»: (٣٢٨/١): «وتصانيف السيوطي في كل فنّ من الفنون مقبولة، قد صارت في الأقطار، مسير النهار، ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله، وجاحد لمناقبه».

وقال الغزي في «الكواكب السائرة»: (٢٢٨/١): «ألّف المؤلّفات الحافلة، الكثيرة، الكاملة، الجامعة، المتقنة، المحرّرة، المعتمدة، نيفت عدتها على خمس مئة مؤلَّف».

وذكر أن هذا من كرامات الله عز وجل له، فقال:

«ومحاسنه ومناقبه لا تحصى كثرة، ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلَّفات، مع تحريرها وتدقيقها، لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقدر».

قلت: وهذا مسرد عام لمؤلفاته مرتباً على الفنون:

*** فن التفسير وتعلّقات القرآن:**

الدر المنثور في التفسير بالمأثور (مطبوع)، التفسير المسند، يسمى «ترجمان القرآن» مختصر من الأول، (مطبوع في مصر، سنة ١٣١٤ هـ)، الإتقان في علوم القرآن (مطبوع)، الإكليل في استنباط التنزيل (مطبوع)، النقول في أسباب النزول (مطبوع)، الناسخ والمنسوخ في القرآن، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (مطبوع)، أسرار التنزيل، مسمى «قطف الأزهار في كشف الأسرار»، تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي (مطبوع)، تناسق الدرر في تناسب السور (مطبوع)، حاشية تفسير البيضاوي، تسمى «زواهر الأذكار وشوارد الأفكار»، التحبير في علوم التفسير (مطبوع)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (مطبوع)، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (مطبوع)، وغيرها كثير.

* فن الحديث وتعلقاته:

التوشيح على الجامع الصحيح، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، قوت المغتذي على جامع الترمذي (مطبوع)، زهر الربى على المجتبى (مطبوع)، مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه (مطبوع)، إسعاف المبطأ برجال الموطأ (مطبوع)، تنوير الحوالك على موطأ مالك (مطبوع)، زهر الخمائل على الشمائل، التعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة، منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال (مطبوع)، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (مطبوع)، الجامع الصغير من حديث البشير النذير (مطبوع)، جمع الجوامع (مطبوع)، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (مطبوع)، مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا (مطبوع)، الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (مطبوع)، عقود الزبرجد في إعراب مسند أحمد (مطبوع)، مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة (مطبوع)، تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش (مطبوع)، مختصره يسمى «بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال» (مطبوع)، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (مطبوع)، الآية الكبرى في قصة الإسراء (مطبوع)، وغيرها كثير.

* فن الفقه:

شرح التنبيه (ممزوج)، مختصر التنبيه، يسمى «الوافي»، الأشباه والنظائر (مطبوع)، الأزهار الغضة في حواشي الروضة (وهي الكبرى، كتب منها إلى صلاة الجماعة)، الحواشي الصغرى، الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع، مختصر الروضة (مع زوائد كثيرة)، مختصر الأحكام السلطانية، اللوامع والبوارق في الجوامع والفوارق، تحفة الناسك بنكت المناسك.

وغيرها كثير جداً.

*** فن أصول الفقه وأصول الدين والتصوف:**

الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع، شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد، اللوائح المشوقة في ذم الوحدة المطلقة.

وغيرها كثير.

*** فن اللغة والنحو والتصريف:**

المزهر في علوم اللغة (مطبوع)، غاية الإحسان في خلق الإنسان، الإفصاح في أسماء النكاح، ضوء الصباح في لغات النكاح، الإفصاح في زوائد القاموس على الصحاح، الأشباه والنظائر (مطبوع)، همع الهوامع شرح جمع الجوامع (مطبوع)، شرح شواهد مغني اللبيب (مطبوع).

وغيرها كثير.

*** فن الأدب والنوادر والإنشاء والشعر:**

الوشاح في فوائد النكاح، رفع شأن الحبشان، أزهار العروش في أخبار الجيوش، الوسائل إلى معرفة الأوائل (مطبوع)، المقامات، الصواعق على النواعق، ديوان شعري ونثري، ديوان خطب، فجر الدياجي في الأحاجي، قطف الوريد من أمالي ابن دريد.

وغيرها كثير.

*** فن التاريخ:**

طبقات الحفاظ (مطبوع)، طبقات اللغويين والنحاة (مطبوع)، طبقات المفسرين (مطبوع)، تاريخ الخلفاء (مطبوع)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (مطبوع)، الشماريخ في علم التاريخ

(مطبوع)، ترجمة النووي، يسمى «المنهج السوي» (مطبوع)[1]، ترجمة البلقيني، نظم العقيان في أعيان الأعيان (مطبوع)، التحدث بنعمة الله (مطبوع)، تبييض الصحيفة بمناقب أبي حنيفة (مطبوع)، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك (مطبوع).

*** وفاته:**

كان موت صاحب الترجمة بعد أذان الفجر، المسفر صباحُه عن يوم الجمعة، تاسع عشر، جمادى الأولى، سنة إحدى عشرة وتسع مئة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه الله عن العلم وأهله وطلبته خير الجزاء.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) صدر عن الدار بتحقيق أحمد دمج.

كتاب

في صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم
تأليف خاتمة المحققين الشيخ جلال الدين السيوطي نفعنا الله
تعالى ببركاته ثم مدده آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وفضله على جميع الحيوان بنطق اللسان،
وخلق كل شيء فقدره تقديرا، وجعله سميعا بصيرا، ثم هداه السبيل إما شاكرا
وإما كفورا، كور الليل على النهار، وكور الليل على النهار، وخلق الخلق أطوارا
وجعل الثقلين فريقين، فله الحكم والتدبير، فريق في الجنة وفريق في السعير، فأما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، وأما الذين شقوا فمأواهم النار
جزاء بما كانوا يعملون، أحمده حمدا أبوا في نعمه، وأسأله المزيد من رفده، وأن من شيء
إلا يسبح بحمده، ثم الصلاة على سيدنا محمد رسوله وعبده، أما بعد وفقنا الله وإياك
للصواب، وفتح لنا ولك من الخير أحسن باب، فتدبر ما حوى هذا الكتاب من صفات
أولي الألباب، وأضدادهم الحائدين عن الصواب، اعلم بأن الذوق السليم نتيجة
الذكاء المفرط، والذكاء المفرط نتيجة العقل الزائد، والعقل الزائد سر أسكنه الله
في أحب الخلق إليه، وأحب الخلق إليه الأنبياء، وخلاصة الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم، فهو عليه السلام أكمل الناس عقلا وأرضاهم خلقا وأكثرهم فضلا، فمن وصفه
صلى الله عليه وسلم ما قاله القاضي عياض في الشفا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، وعن علي رضي الله عنه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي، والعقل
أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي،
والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضى غنيمتي، والفقر فخري، والصدق
شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني الصلاة، فمما أفيض من بركته
صلى الله عليه وسلم على علماء هذه الأمة وعقلائها وفصحائها فمن ذلك صاحب الذوق
السليم، ومن ذلك صاحب الذكاء المفرط، ومن ذلك صاحب العقل الزائد، وصنف هم
من الأشرار في الدرك الأسفل من النار، صاحب الذوق السليم مزاجه مستقيم،
طبعه وزان، وفيه أنواع الإحسان، يتخذ التواضع سنة، والعطاء من غير منة،
والعفو عند المقدرة، والتعفف عن الميسرة، لا يزدري فقيرا، ولا يتعاظم بأميره،
لا ينهر سائله، ولا هو عما لا يعنيه سائل، كريم طروب، قليل العيوب، كثير المزاح، حبيب
خصائله ملاح، منادمته أهنى من الراح، صاحب الأصحاب، حبيب الأحباب، ليس بكذاب
ولا مغتاب، نطقه صواب، عفيف ظريف، كيس لطيف، ليس بكثيف، حلو الذات مليح

صورة عن اللوحة الأولى
من النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق

الأخلاط الصفراوية ، والخارج بنفر الطباع السليمة ، مهيج للبلغم ، والمغلوب
مهيج الدم الفاسد كما قال الشاعر في هذه الارجوزة شعر
اعلم بأن الرست اصل الكل ، تفرعت منه بحكم العقل ، فإنه اول ما تفرعا
ثلاثة عنه فصارت اربعا ، الرست اول والعراق تابعه ، والزوركند واصفهان رابعه
ونزلوهن على الاركان ، وعلة الاخلاط في الانسان ، فشبهوا الاول في الايقاد
بالمرة الصفرا وركن النار ، وثانيه بالدم والهواء ، وثالثه ببلغم وماء
واختم بالسودا وركن الارض ، عند الطباق وسلوك العرض ، الرست للحذاق بيد وذكلا
ويكتسي العشاق منه حللا ، عراق يشفي السامعين ارجله بمائه وبوسليك نزلا
والزركند والبزرك اشتملا ، لولا العلو بالرهاوي اتصلا ، نوى حسيني ومافذ دخلا
مع اصفهان بدخول وصلا ، هذا الاصل وما تفرع منه والكلام متسع وفي
هذا الكلام مقنع ، وانتهى بنا الى هنا حسن الكلام والسلام ، تم الكتاب
بحمد الله الملك الوهاب سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله واصحابه
وازواجه وسلم
تسليما كثيرا
دائما
ابدا
تم

صورة عن اللوحة الأخيرة
من النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وفضّله على جميع الحيوان، بنطق اللسان، وخلق كل شيء فقدّره تقديراً، وجعله سميعاً بصيراً، ثم هداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً، كوّر الليل على النهار، وَكَـوَّر النَّهـارَ على اللَّيـلِ[1]، وخلق الخلق أطوار[2]، وجعـل الثقلين فريقين، فله الحكم والتدبير، فريق في الجنة وفريق في السعـير[3]. فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون[4]، وأما الذين شقوا فمأواهم النار جزاء بما كانوا يعملون[5].

---

(١) في الأصل: كوّر الليل على النهار وكوَّر الليل على النهار، مكرَّرة، والجادَّةُ ما أثبت، وهو مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ [الزمر: ٥].

(٢) كذا، والصواب: أطواراً، وسترى أن المؤلف رحمه الله يرتكب كثيـراً من المجازفات والأخطاء النحوية لإقامة السَّجْع، فتدبَّر هذا.

(٣) سورة الشورى: الآية ٧.

(٤) نص الآية الكريمة: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [فصلت: ٨]، أو ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، أو ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٦].

(٥) مؤلَّفة من الآية الكريمة ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ =

أحمده حمداً يوافي نعمه، وأسأله المزيد من رفده ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] ثم الصلوٰة على سيدنا محمد رسوله وعبده.

أمـا بعـد:

وفّقنا الله وإياك للصواب، وفتح لنا ولك من الخير أحسن باب، فتدبّر ما حوى هذا الكتاب، من صفات أولي الألباب، وأضدادهم الحائدين عن الصواب.

آعلم بأن الذوق السليم نتيجة الذكاء المفرط، والذكاء المفرط نتيجة العقل الزائد، والعقل الزائد سر أسكنه الله في أحب الخلق إليه، وأحب الخلق إليه الأنبياء، وخلاصة الأنبياء نبينا محمد ﷺ، فهو عليه السلام أكمل الناس عقلاً، وأرضاهم خلقاً، وأكثرهم فضلاً، فمن وصفهِ ﷺ ما قاله القاضي عياض[2] في «الشفا»[3] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ أحسَنَ النّاسِ خُلُقاً»[4].

وعن علي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن ستة،

= [هود: ١٠٦] ومن أجزاء من آيات أخرى من سور أخرى.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض اليَحصُبي السَّبْتي أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته [٤٧٦ ـ ٥٤٤] ترجمته في وفيات الأعيان ٣٩٢/١ وقضاة الأندلس: ١٠١، وقلائد العقيان: ٢٢٢، وبغية الملتمس: ٤٢٥، ومعجم ابن الأبّار: ٢٩٤ وغيرها.

(٣) واسم الكتاب الكامل: «الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى»، والنقل المذكور موجود فيه: (٢٠٧/١).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الآداب: باب تحنيك المولود عند ولادته: (١٦٩٢/٣) رقم (٢١٥٠) وكتاب الفضائل: باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً: (١٨٠٥/٤) رقم (٢٣١٠) وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فقـال: «المعـرفـة رأس مـالي، والعقـل أصـل ديني، والحب أساسي، والشوق مـركبي، وذكر الله أنيسي، والثقـة كنزي، والحـزن رفيقي، والعلم سـلاحي، والصبر زادي، والـرضى غنيمتي، والفقـر فخري، والصدقـة شفيعي، والطاعـة حسبي، والجهاد خلقي، وقـرة عيني الصلوٰة» [1].

وممـا أفيض من بركتـه ﷺ على علماء هـذه الأمـة وعقـلائهـا وفصحائها، فمن ذلك صاحب الذوق السليم ومن ذلك صاحب الذكاء المفرط ومن ذلك صاحب العقل الزائد.

وضدهم من الأشرار في الدرك الأسفل من النار.

صاحـب الـذوق السليـم: مزاجـه مستقيـم، طبعه وزّان، وفيه أنواع الإنسان، يتخذ التواضع سنة، والعطاء من غير منّة، والعفو عند المقدرة، والتغفل عن المَعْيَرَة، لا يزدري فقير[2]، ولا يتعاظم بأمير، لا ينهـر سائـل[3]، ولا هو عمـا لا يعنيه سـائل، كـريم طروب، قليـل العيوب، كثير المزاح، جميع خصائله ملاح، منادمته آلَفُ من الراح، صاحب الأصحاب، حبيب الأحباب، ليس بكذّاب ولا مغتاب، نطقـه صواب، عفيف شريف، كَيِّس لطيف، ليس بكثيف، مكمّل الذات، مليح / الصفات ليسَ بقَتَّـاتٍ[4]، يُواسيـكَ وُيسليكَ، ويتـوّجعَ إليـك، [ق ١] ويَعِظُكَ وَيُتْحِفُكَ بعلمه ومالـه، ولا يُحْوِجُـكَ إلى سؤاله، ينـظر إلى المضطر بعين الفراسة، ويواسيه بكياسة، رجل همّام والسلام.

(١) حديث موضوع، كما قال السيوطي في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفـا»: رقم (٣٢٢) وقـال العـراقي في «تخـريـج أحـاديث الإحيـاء»: (٤/ ٣٥٠): «ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب، ولم أجد له إسناداً».

(٢) كذا! والصواب: لا يزدري فقيراً. (٣) كذا! والصواب: لا ينهر سائلاً.

(٤) القَتَّات: النَّمام.

صاحب الذكاء المفرط: جوابه مُسكِتٌ، يُشارك العلماء من غير اشتغال، ولا يتكلم بمحال على كل حال، تَخَيُّلُه صحيح وتكلمه مَليح فصيح، لا يحتاج إلى المنطق ولا إلى الألفية، وتلك المعالم من نفسه سَجِيَّة، يرتب الألغاز والأُحْجِيَّات[1]، ولا يحتاج إلى العروض في تلك الأَبيات، يُصَنِّفُ مَثَاتيلَ[2] وخزعبلات، رجل دِهقان[3]، صاحب ذكاء مِلَسان[4]، يصنف مثل الألفية، وله في تلك العلوم غيّـة[5]، يهندس ويرتّب ويفصّل، وَيُدَيْوِنُ[6] ويحصّل، صاحب حساب وديونة، وفراسـة وعنونة، يركب أطعمة وشرابات، ومعاجين وعلوكات[7]، يعرف الطب والجراح، وأياديه في كل صنعة ملاح.

صاحب العقل الزائد: خيره متزايد، شرّه متباعد، رضي الخلق حليم، عفيف النفس كريم، ليس بكذّاب ولا لئيم، لا يفرح بالمصيبة لأعدائه، مشتغل بأدوائه، لا يقصد إلا رضى الله، راض بما قسّم الله، ينظر إلى المضطّر بعين الفراسة، ويواسيه بكياسة، لا يحسـد الأمير لأمارته، ولا التـاجر على تجـارته، مشتغـل بالله فهـو عبدالله، كثيـر الصمت والسكون، جعل الله لقلبه عيون[8]، فهو ضد المجنـون، لا يتكلم بغيبة، ولا يفرح بمصيبـة، كيس ليس بزاعـج، وهو لـلأرواح

---

(١) في الأصل: الأحاجيات! وهو خطأ، والجادَّة ما أثبتّ، وهي جمع أُحْجِيَّةٍ كأُمْنِيَّةٍ.

(٢) أي يؤلف أمثالاً متداوَلَة، والمؤلف يَلْهَجُ كثيراً في هذه المقامة بـالعبارات العاميَّة التي كانت مستعملة في عصرِه.

(٣) الدِّهْقَانُ: (بالكسر والضم): القويُّ على التَّصَرُّف مع حِدَّة، والتاجرُ، وزعيمُ فلاحي العجم، ورئيسُ الإقليم، مُعَرَّبٌ.

(٤) أراد أنَّه ذو لَسَنٍ: أي فصيح، واللَّسَنُ: الفصاحة.

(٥) أراد أنَّ له هوىً ومَيْلاً.

(٦) أراد: يصنِّفُ في الدواوين.

(٧) أراد ما يُعْلَكُ في الفم.

(٨) كذا في الأصل، والجادة: عيوناً.

ممازج، يبذل المجهود في رضى الأصحاب، وهو من أولي الألباب، يفتح لكل خير باب، عارف بطريق الصواب، يكرم الفقراء، ولا يجالس كثيف[1]، ولا يمل كل لطيف، رجل همام والسلام.

وضد ذلك من الأشرار في الدرك الأسفل من النار، **وهو المنافق**، لغير دين الله موافق، كلب أجرب، للقلب خرب، ثوب جثمانِه[2] من النفاق مُضَرَّبٌ، فهو للشيطان أقرب، بالدينين يلعب زنديق مذبذب، لا يأكل لحم الأضاحي ولا يبات ليلة في رمضان صاحي[3]، إن عبر كنيسة اليهود قاموا له بالجلود[4]، وإن عبر كنيسة النصارى وقع في الخسارى[5]، صلاته عوجاء، لا وضوء ولا استنجاء، لا يعبر جامع المسلمين، إلاّ أن يكون يتفرج على القناديل، خوّان ليس بأمين، يشهد بالزور في كل الأمور، إن خوصم فجر، وإن شهد قهر، وإن استؤمن خان، في كل زمان، في كل الملل حيران، فهو من أهل النيران.

الثاني: المسلوب الذوق الأحمق، عقله ممزق وعيناه تتبحلق، يعيّط ويبقبق[6]، ساحله مزحلق[7]، من كثرة حمقه يزملق[8]، ولزوجته

(١) كذا في الأصل، والصواب: كثيفاً.

(٢) في الأصل: ثوب جثمانيته، والصواب ما أثبت.

(٣) كذا في الأصل: صاحي، والصواب: صاحياً، ولكن المؤلف إنما يفعل ذلك لملائمة السجع.

(٤) أي بالسِّياط المصنوعة من الجلود.

(٥) كذا في الأصل!! فتدبَّر ما تصنع الحاجة لإقامة السجع.

(٦) عَيَّط: قال الأزهري: عِيطِ كلمة ينادي بها الأَشِرُ عند السُّكر يَلْهَجُ به عند الغَلَبة فإن لم يزد على واحدة قالوا: عيَّط.
وبَقْبَقَ: كثر كلامُه.

(٧) الزُّحْلُوقة: آثار تَزَلُّجِ الصبيان من فوق إلى أسفل. =

يطلّق، لا يهتدي لصواب، ولا يتأمل رد جواب، إنْ مدحته ازدراك، وإنْ تركته عاداك وهجاك، ما لعلّته دواء، والخير والشر عنده سواء، لو فرشت خدك بالأرض، ظن إن ذلك عليك فرض، إذا لبس الشيء الجديد، يظن الناس كلهم له عبيد[1]، في نفسه غلطان، ويظنّ أنه سلطان، هَيُولَى[2] مطلق/، سالبه كُلِيَّة فهو من البلية. [ق/٢]

(بيت مفرد)

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذْل مَنْ لا يرعوي ... عن جهله وخطاب من لا يَفْهَمُ[3]

فهو من أنكاد الدهر، والخلق جميعاً منه في قهر، رجل مطلاق، سيىء الأخلاق، سبحان الملك الخلّاق.

(بيت مفرد)

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

قيل للسيد المسيح صلوات الله وسلامه عليه، أنت تبرىء الأكمه والأبرص، وتحيي الموتى بإذن الله تعالى ولا تداوي الأحمق؟ فقال: هذا الداء أعياني.

الثالث: النذل من الرجال، قليل الوفا، مصفوع القفا، قليل الغيرة، مع كل خيل مغيرة، قليل الأدب، كثير الضحك بلا عجب، كثير النوم، قليل الهمّة بين القوم، لا يقضي حاجة، كثير اللجاجة، يأكل الكد الكثير، ولا يرى لذلك تأثير[4]، ولو خربت الشام وسائر

= (٨) في الأصل: يزمزق، ولعل الصواب ما أثبت، والزُّمَّلِق: كعِلبط وعلابط، وتشديد ميم الأولى: من يُنزل قبل أن يدخل، راجع «عيوبَ المنطق ومحاسنه»: (١٢١).

(١) الجادَّة: عبيداً.

(٢) سيأتي التعريف بها.

(٣) القائل المتنبي، وانظر ديوانه: ٥٧١ وقد قاله من قصيدة يهجو بها إسحاق بن الأعور بن إبراهيم بن كَيَغْلَغ، ويمدح بها أيضاً أبا العشائر، وفي الأصل: «لم يرعوي»!! والصواب ما أثبتُّ، والبيت من الكامل.

(٤) الجادة: ولا يرى لذلك تأثيراً.

الثغور، تراه من غير فكره في البجاقات[1] يدور، يلتذ بالكفاح كما يلتذ غيره بالنكاح، يغوى الخصال القباح، ويترك الخصائل الملاح، كثير العيوب، وهو من الذوق مسلوب، وفيه أحسن من قال:

يَدَعُ الذُّبابُ جميعَ جسمِكَ سالماً   وتـراهُ لا يـأوي لغيـر جَـريحـةِ
كالنَّذْلِ يعدل عن جميلِ صَديقِهِ   وتَـراهُ لا يـأتي لغيـرِ قبيحـةِ

رحم الله من تأمل هذه الخصال، وجعـل بينه وبينها انفصال[2].

فصل: صاحب الذوق السليم من الملوك:

قـد سلك في المملكـة أحسن سلوك، أقـامـه الله لمصـالـح العبـاد، بذلـك أجاد وسـاد، وعاد إلى الخيـر وصـار بـذلـك لأولاد الملوك أستاد[3]، يعدل في الرعِيَّة ولا يجعل عسكره سوية[4]، بل ينزل الناس منازلهم، ولا يقـطع عوائـدهم، يستن السنة الحسنـة، ويعلم إن «عـدل سـاعـة خيـر من عبـادة ألف سنـة»[5]، كـريم سيـوس[6]،

(١) البجَاقات: السكاكين ج. بجاق وهي تركية.

(٢) الصواب: انفصالاً، والآفة من إحكام السجعة.

(٣) الصواب: أستاذاً، وانظر التعليق السابق، وكان يخاطب بهذا اللفظ كلّ مَنْ تقلّد رئاسة الشرطة ببغداد، كما في «عيوب المنطق ومحاسنه»: (٤٧) وليس المراد بها هنا هذا المعنى.

(٤) في الأصل: ولا يجهل عسكره سويَّة، وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٥) الوارد عند أبي نعيم في «فضل العادلين»: رقم (٨): «خير من عبادة ستين سنة»، وأخرجه المخلدي ومن طريقه التيمي في «الترغيب» وابن عساكر في «السادس والثلاثين من أماليه». وقال: «إنه غـريب» وفيه أحمـد بن عيسى الخشاب ضعيف، بل رمي بالوضع والكذب.

وانظر: «تخريـج أحاديث العـادلين»: (ص ٥٢ - ٥٣) للسخاوي و«كشف الخفاء»: (٢/ ٧٥) و«كنز العمال»: (٦/ ١٢) و«السلسلة الضعيفة»: رقم (٩٨٩).

(٦) لا يقـال لمن يَسـوسُ الـرَّعيَّـة: سَيُـوس، فهـذه لم تسمـع عن العـرب، والصواب: سائس.

لا يعجل في إتلاف النفوس، يجير الخائف، ويغيث الملهوف، حامي دين الله بحد السيوف، مجاهد مرابط، فهو لدين الله ضابط، يملك سائر الثغور، مؤيد منصور، ناصر طاهر، كامل وافر، رأيه سعيد، فعله رشيد ورأيه سديد، إذا وعد وفّا، قليل الجفا، لا يقرب السفهاء ولا الفسَّاق، خشية من سخط الخلّاق، قليل الخطا، كثير العطا، تاج الملوك، مليح السلوك، فهو لله مملوك، كثير التواضع والسماح، خصائله كلها ملاح، وقد وهبه الله النصرة والنجاح والعفة والصلاح.

وضد ذلك المسلوب الذوق الأحمق من الملوك:

لا يفهم للملكة سلوك، يتبع خطوات الشيطان، يستعمل أظلم العمال، لأجل جمع المال، فيخرب البلاد، ويهلك العباد، وتصير بذلك أمراؤه جائعين ومماليكه ضائعين، فما بال حال البائس الفقير المسكين، تعطلت صناعته، وكسدت بضاعته، فلا أمير فرحان بإمارته، ولا تاجر يربح في تجارته. يؤمّر اللّؤماءَ على الكرماء، ويهين الفقراء ويزدري العلماء، أيامه ظلام، على جميع الأنام، فيصير القدر مهان[1]، وكأن الخلق في زمن عبدالملك بن مروان، إذ ولّى الحجاج، كم لها من هاج، في ذلك المنهاج، لما فعله بالمسلمين، ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. /جبار عنيد، كأنه الوليد[3]، وأعظم من ذلك في الظّلم [ق٣]

---

(١) الجادة: مُهاناً. (٢) سورة هود: الآية ١٨.

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان، وذلك أنه كان ينتظر الخلافة يوماً فيوماً، ففتح المصحف يوماً فطلع ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]. فجعل المصحف هَدَفاً للسِّهام وجعل يرمي تلك الآية ويقول:

أتوعِدُ كُلَّ جبَّارٍ عَنيدٍ ... فها أنا ذاك جبَّار عنيدُ

إذا ما جئتَ ربَّك يومَ حَشْرٍ ... فقل يا ربِّ مزَّقَني الوليدُ =

يزيد[1]، إنْ وعد أخلف، وإن أصلح أتلف، ما لمملكته رتبة، وأجلابه أنحس جلبة، لا يغيث ملهوف[2] ولا له مع رافد معروف، ولا يكشف كربة، ولا يطلب عند الله قربة، كأنه الشيخ عقبة[3]، يقتدي بآراء الفساق، أحمق سيىء الأخلاق، سبحان الخلّاق؛ يعجل في إتلاف النفوس برأيه المعكوس، لا يتأمل كلام من كذب عنده ولا من صدق، والدعوى عنده لمن سبق، لا ينظر في أحوال العباد، كأنه من قوم عاد، يريد أن يكون له بالصلاح سمعاً، وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4].

صاحب الذوق السليم من الأمراء:

يميل الميمنة على الميسرة في الحرب، ويكشف عن الجيوش الكرب، سيفه قاطع ودرعه مانع، وهو للمسلمين أنفع نافع، يوهب المماليك، ويتفقد الأرامل والصعاليك، فارس الخيل كرمه كالسيل، جَوَامِكُ[5] غلمانه مغلقة، مكثر الشفقة، كثير الخير والصدقة، رمّاح مليح، واعتماده في النشاب مليح، يضرب بالسيف ما عنده جور ولا حيف، معاملته جيدة، وحركاته مؤيدة، يخالف الشيطان، وهو طوع الإنسان، ما عنده لا كبر ولا نفاق، بشوش طيّب الأخلاق، لا ينهمك على الأقداح، بل ينهمك على الصلاح، ذو حشمة وهمة، وهيبة ولمّة،

= وكان منتهكاً لمحارم الله، قتل سنة ١٢٦، ترجمته في فوات الوفيات ٢٥٦/٤ وفيه عزو إلى مصادر أخرى.

(١) هو يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، ولي الخلافة بعد عمر بن عبدالعزيز توفي سنة ١٠٥ بالبلقاء، انظر الفوات ٣٢٢/٤ وفيه عزو لمصادر أخرى.

(٢) والصواب: ملهوفاً.

(٣) لم أتبينه.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٥) الجَوَامِكُ: رواتبُ الجُنْدِ وخدم الدَّولة، فارسيٌّ معرَّبٌ.

يملك الأمرا، أشجع من تسوّر على أفراسه للعِدٰى، كثير الاحتمال، عارف بمواقع الرجال في الحرب والنزال، يأكل رزق السلطان حلال[1]، واقف بباب الفقير كالأسير، فهو نعم الأمير.

وضده المسلوب الذوق من الأمراء:

في الأصل جندي خرا مَسْخَرَة، بيته مُسَكَّرَة[2]، عيشه مكدرة، جوامك[3] غلمانه منكسرة، قليل الدين، يظلم المساكين ومماليكه ضائعين، لا جامكية[4] ولا عليق، فهم يخطفون العمائم ويقطعون الطريق، ما يؤدي حقاً من الحقوق، لا لله ولا لمخلوق، فهو شيخ الفسوق، بيته من الخير ناشف، ما يخدمه عارف، إن خدمه أستادار[5] وقع في النار، كذلك المهتار[6] والفراش والطّشْتَدَار[7]، قليل الهمة، ما يطلع لخدمة، في نفسه غلطان[8]، وفي ظنه يبقى سلطان[9]، منتن الذقن خسيس، أنحس من إبليس، ظالم غاشم، ما يخشى المآثم.

---

(١) كذا! والصواب: حلالاً، وانظر أمثالها فيما سبق.

(٢) أراد: مغلقاً، وهي من السَّمْكَرَة: أي صنعة الفضة، فارسي مُعَرَّب.

(٣) سبق التعريف بهذه اللفظة.

(٤) الجامكية: مُرَتَّب الجندي، وهي واحدة الجوامك، وانظر ما سبق، وهي من المشترك التركي الفارسي، وانظر النجوم الزاهرة: ١٠/١٧٢.

(٥) الأستادار: وظيفة في العصر المملوكي، وهو الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويمتثل أوامره فيه.
وقال العلامة أحمد تيمور باشا في «عيوب المنطق ومحاسنه»: (٤٨): «الأستدار: من يتولّى النّفقة على دور السلطان وقصوره».

(٦) من المهاترة: وهي المسابَّة بالباطل من القول.

(٧) الطّشْتَدَار: هو الخادم الذي يصب الماء لغسل اليدين، أو المشرف على المغاسل والحمامات، انظر المعجم الذهبي: ٣٩٨، والكلمة من المشترك الفارسي التركي.

(٨) فَصِيحُها: غالِطٌ.

(٩) صوابها: سلطاناً.

صاحب الذوق السليم من الأجناد:

قليل العناد منفعة للعباد، لا يتلفظ بستكم [1] ولا بقواد، في رمي النشاب، وضرب السيف ولعب الرمح أستاد، طيب الكلام، ما يلعب بلكام، مواظب الخمس، ما عنده لا حيف ولا ميل، كميت الحرب فارس الشرق والغرب، قد عرف مواقع الرِّجال، كثير الاحتمال والنزال، سلامه مليح، وإيمانه صحيح، يتجنب القول القبيح، لسانه فصيح، من أحسن الجيوش، عاقل سيوس [2]، ما يستخدم غلام منحوس [3]، ما يحاسب عائلته على شيء من الفلوس.

وضده المسلوب الذوق من الأجناد:

كثير العناد، مرصد لظلم العباد/، يقال له يا سيدي، يقول علّه [ق ٤] ستكم [4] قوّاد، خرباطي [5] عتيق، يخطف العمائم ويقطع الطريق، زنديق حليق، ما له صاحب ولا صديق، شرابه الأمراق [6] وصرمه [7] مخرق من الأطباق علق زقاقي [8]، لا يصلح منه تبع ولا وشاقي [9]،

---

(١) كذا في الأصل! ولم يتبيّن لي. (٢) انظر ما سبق.

(٣) الصواب: ما يستخدم غلاماً منحوساً، والعلة هي هي، ألا وهي إحكام السجعة، ثم إن المؤلف قد سلك في هذه المقامة مسلكاً عامياً.

(٤) كذا في الأصل!!.

(٥) طائفة من الزُّط يقال لهم القَرَباط أو الخَرَباط يعيشون على القيادة وقطع الطرق، وملاعبة القرود.

(٦) أراد جمع: المَرَق على طريقته في استحداث الجموع.

(٧) الصرمُ: الأسْتُ.

(٨) العِلْقُ بمعناها المتداوَل بين الطَّغام: الكَشْخَان ومن يحترفُ القِيادة، وزِقاقي: يجوز أن يكون منسوباً لِزِقاق الخمر. جمع زِقٍّ، والراجحُ: أن يكون منسوباً للزُّقاق. ج أزِقَّة، وهي مواطن الفساد ومناخُ الرذيلة على الأغلب، والزَّقَّاق: الذي في فيه لقمة، ويسيغها بشراب الماء، ويسمّى (زاق الفرخ).

=

ما يقدر على عليق الفرس، وفي قلوب الحكام منه غصص، ماله دين، يظلم المساكين، لا هو عاقل مع العقال، ولا مجنون مع المجانين.

صاحب الذوق السليم من الأتراك:

كبير ظريف، عفيف شريف مشتغل بكمال نفسه، وملاعبة زوجته ويعلم فرسه[1]، وإصلاح قوسه، فذلك أحب المباحات إلى الله، يبتغي بذلك وجه الله، سيفه قاطع ودرعه مانع، ثابت الجنان ليس بجبان، ولا باخل ولا منان، كثير الإحسان، باليد واللسان، لكل إنسان، يحب الكريم من أهل الهمم، يترك الكثافة ويقوي اللطافة، لا يعاشر كودن[2]، ويتخذ من كل شيء الأحسن، من العجب والكبرياء مجرد، فهو في أبناء جنسه مفرد، كلام أهل العلم عنده مقبول، عارف بالأصول، فهو مليح وتخيله صحيح.

ضد ذلك المسلوب الذوق من أبناء الترك:

كثير العلاك[3]، تحدثه بالعربي، يحدثك بالتركي، ولا يعرف

= (٩) لعله أراد: واشقي، نسبة لواشق وهو اسم كلب واسم رجل وانظر لسان العرب، مادة (وشق).

(١) إشارة للحديث الشريف: «ليس اللهو إلا في ثلاثة تأديب الرجل فَرَسَهُ وملاعبته أهلَهُ ورميه بِقَوسِهِ». أخرجه عبدالرزاق في «المصنف»: (١٠/٤٠٩ ـ ٤١٠) رقم (١٩٥٢٢) وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٥/٣٤٩ ـ ٣٥٠) وأحمد في «المسند»: (٤/١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ٢٢٢) والترمذي في «الجامع»: (٤/١٧٤) رقم (١٦٣٧) وأبو داود في «السنن»: (٣/١٣) رقم (٢٥١٣) والنسائي في «المجتبى»: (٦/٢٨) وابن ماجه في «السنن»: (٢/٩٤٠) رقم (٢٨١١).

(٢) الصواب: لا يعاشر كَوْدناً، وانظر ما سبق، والكَوْدَن: البغلُ والبِرْذَوْن.

(٣) أي يعلك الكلام ولا يُبِينُ.

الآماجي من اليَلَكي[1]، لا يعرف رمح ولا نشاب، يفتح للشر أبواب[2]، لعبه لكام[3]، ويخبط في الكلام، يغيّر هيئته بالزنط والمنشفة[4]، وَغِيَّتُهُ القمار بالكنجفة[5]، يتلعبط ويتلبك[6]، ويغير اسم أحمد باسم بردبك، يقطع الطريق ولا له صاحب ولا صديق، مضارب مخانق لوالديه عائق[7]، يشرب شخاخ النصارى، ويضارب كل من في الحارى[8].

صاحب الذوق السليم من الغلمان:

الخيل معه في آمان يخرز العنان، ويُحيط الشّليتة والتعبان[9]، فهو للخيل بلّان، نظيف العرض والثياب، يحرز العقوبات والألباب، مطاوع في الصواب، لا يشتغل بخدمه، شاطر صاحب همة، لا يدمدم

---

(١) أي لا يميز بين المحراث وقميص النساء، وآمَاج: محراث، ويَلَك: قميص نسائي وانظر المعجم الذهبي: ٤٧ و٦٢٢، وهذا من المشترك المملوكي التركي الفارسي.

(٢) الجادة: أبواباً. (٣) أراد: لَكْماً.

(٤) الزنط: جاء في اللسان: الزِّناط: الزحام وقد تزانطوا إذا تزاحموا، ولكن ليس هذا هو المراد هاهنا، ولم أقف على الكلمة، ولا أدري ما أراد بالمنشفة، وأفاد العلامة أحمد تيمور باشا في «عيوب المنطق ومحاسنه»: (٧٠) أن المنشف يرادف (طلمبة ماصّة كابسة)، أي: باب المنشف للكبس، فلعل المنشفة والزنط آلات أو نحوها كان يستعملها السفلة والمستهترون والعصاة في عصر المصنّف.

(٥) وغِيَّته: أراد وغَوايته، والكَنْجِفَة (بكاف فارسية): هي ورق اللعب، وانظر المعجم الذهبي الفارسي العربي: ٥١٢.

(٦) عبارة كُلُّها من ألفاظِ العوامِّ. (٧) أي: عاقٌّ، وما ذكره من العاميَّة.

(٨) وهذا أيضاً من العاميَّة، وفصيحُه: الحيُّ.

(٩) الشَّلِيتَةُ: أراد السقط من الفرسان، والتعبان: التَّعِبُ، عاميَّة.

لانقطاع الجامكية[1] ، يخدم الضيوف ولو كانوا مِيّه[2] ، ويقضي الحاجة ولو كانت بإسكندرية، وله في الغلمان غية[3]، يداوي الوقرة واليرقان[4]، ويقطع الجلد ويداوي السرطان، رجل همام، فهو نعم الغلام.

ضد ذلك المسلوب الذوق من الغلمان:

يسرق عليق الفرس، في قلب الجندي منه غصص، حرفوش[5] ما يملك قنشار[6]، ما يصحو من المِزْر[7] لا ليل ولا نهار، يخدم الأجلاب[8]، لأجل الخناق والضراب، والخويلات[9] معه ضائعة، وبطونهم جائعة، تجده في قلب الأربعانية[10] بفرد طاق، وأطواقه مقطعة من الضراب والخناق، يخطف العمائم ويقطع الطريق، مفلس لا له صاحب ولا صديق، كثير العياط والشِّياط[11]، جمعة في المحلّة وجمعة

---

(١) سبق التعريف بها. (٢) كذا، وهي عاميَّة.

(٣) أي يميل إلى الغلمان.

(٤) الوَقْرَة: أي: هَزْمَة في العظام، والوَقْرُ في العظم: شيء من الكسر، واليَرَقان: (بتحريك الياء والراء) داءٌ يعتري صاحَبَهُ اصفرارٌ.

(٥) الحَرْفُوشُ: الذي ينتمي لطبقة السِّفَل والطَّغام، ج. حرافيش، وقد شاع استعمال هذه الكلمة في العصر المملوكي.

(٦) كذا! والقِنْشار: ما يساوي فَلْساً أو نحوه.

(٧) المِزْرُ: نبيذ الشعير والحنطة والحبوب، وقيل نبيذ الذُّرَة خاصة.

(٨) الأجلاب: هم المماليك المجلوبون من أقطار شتّى.

(٩) أراد: الخَوَل، وخَوَل الرّجل: حَشَمُه، الواحد خائل، وقد يكون الخَوَل واحداً وهو اسم يقع على العبد والأَمَة.

(١٠) لعله أراد اليوم الأربعين الذي يحييه المبتدعة في ذكرى الميت، والله أعلم.

(١١) أراد بالعِياط: الصَّخب والصياح، والشِّياط: ريحُ المحترق من القطن وغيره، والشِّياطَةُ: الاحتراق، لكنه أراد بها هاهنا: النَّزَق وسرعة الغضب وضِيق الصَّدر.

في دمياط[1]، يرهن العرقية[2] والدبوس[3]، مقامر لص منحوس.

صاحب الذوق السليم من القضاة:

لا يقبل الرشوة، ويترفق في الدعوة، لا يسعى في وظيفة، ويتأمل ما كان عليه أبو حنيفة، ينظر في حال المسكين ويحصل له عليه من المشقة/ كمن ذبح بغير سكين، رَضِيّ الخلق سيوس[4]، ضاحك غير [ق ٥] عبوس، يساوي بين الخصمين، وينظر في حقيقة الدين، لا يميِّز صاحب ألف دينار على من لا يملك قنشار[5]، ويعلم أن قاض في الجنة وقاضيان في النار[6]، يخشى أن يقول حكمت وربَّ قائل يقول ظلمت، لا يراعي في الحكم جار[7]، ويخشى أن يحرق بالنار، له

---

(١) المَحَلَّةُ: هي المَحَلَّةُ الكُبرى في وسط الدّلتا بالوجه البحري بمصر وانظر مباهم الفكر للوطواط: ١٢٣، والتحفة السَّنِيَّة: ٦٣، ومعجم البلدان ٦٣/٥ وهي مركز الغربية بمصر.

ودِمْياط: من ثغور مصر وهي من المدن القديمة بين تِنِّيس ومصر. معجم البلدان ٤٧٢/٢، والتحفة السَّنِيَّة: ٦٢ وغيرها.

(٢) العرقية: مِطْرَفٌ من صوف سميك.

(٣) الدَّبُّوس: وهو واحد الدَّبابيس، أي المقامع، والدَّبُّوس: المَقْمَعَة.

(٤) انظر ما سبق. (٥) انظر ما سبق.

(٦) الجادَّة أن يقول: ويعلم أن قاضياً في الجنة وقاضيين في النار، ولكنه أورده على الحكاية، وتقدير الكلام: ويعلم أن قد جاء في الحديث: قاضٍ...

(٧) ونص الحديث: «قاضيانِ في النَّارِ وقاضٍ في الجنَّةِ، قاضٍ عَرَفَ الحقَّ فقضىٰ به فهو في الجنَّةِ، وقاضٍ عَرَفَ الحقَّ فجارَ متعمِّداً أو قضىٰ بغيرِ عِلْمٍ فهما في النَّارِ».

والحديث صحيح، أخرجه أبو داود في «السنن»: (٢٩٩/٣) رقم (٣٥٧٣) والترمذي في «الجامع» (٦١٣/٣) رقم (١٣٢٢) والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «التحفة»: (٩٥/٢) وابن ماجه في «السنن»: (٧٧٦/٢) والحاكم في «المستدرك»: (٩٠/٤) والبيهقي في «السنن الكبرى»: (١١٦/١٠).

معانٍ[1] وبيان، وفقه وتصريف بإمكان، فهو خير إنسان، نطقه سعيد وخيره يزيد، وقد أقامه الله تعالى لمصالح العبيد، لا يحكم بإغراء من الأمراء، لما سلك طريق العلماء، وعزّة الفقراء، ولا يحكم بأغراض الملوك وقد سلك بهذه الطريقة أحسن سلوك، يعلم أن كل ملك لله مملوك، فهو خائف من الله متوكل على الله، لا يحكم إلا بحكم الله، لا يقبل شهادة الزور، ولو كان على وزن الخردلة في كل الأمور، فهو القاضي، لأنه تميّز عن القاضيين.

فرحم الله تعالى من تأمل هذه الخصال، وجعل بينه وبينها اتصال[2].

ضد ذلك المسلوب الذوق من القضاة:

البغلة والكوديان[3]، والفَرَجِيَّة[4] والطيلسان[5]، قد فتح له بهم دكان، لا فقه ولا معاني ولا بيان، عاري من نوع الإنسان كأنه حيوان، ألكن اللسان، لا يسوي بين الخصمين، ويقبل الرشوة ولو كانت فَلْسَيْن، إذا غضب يقول: حكمت، ولا يفكر فيمن يقول: ظلمت، يحكم بأغراض الأمراء، ولا يرافق العلماء، ويزدري الفقراء، عبد

---

(١) في الأصل: معاني، وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا! وقد كان المؤلف منادِحٌ عن هذه المجازفات النَّحْوية، ولكنه رحمه الله كما ذكرنا سابقاً ـ سلك في هذه المقامة منهجاً يلائم العَوَّامَ.

(٣) انظر ما سبق.

(٤) الفَرَجِيَّة: نوع من الأكسية منسوب إلى السلطان المملوكي فَرَج بن الملك الظاهر برقوق ولد سنة ٧٩١ وقتل سنة ٨١٥، ترجمته في الضوء اللامع ١٦٨/٦.

(٥) الطَّيْلَسَان: ضرب من الأكسية، وحُكِيَ عن الأصمعي أنه قال: الطَّيْلَسان ليس بعربي، وأصله فارسي إنما هو تالشان فأعرب، وانظر اللسان: (طَلَس).

الجاه، رجل وجاه[١]، قد أفلح من هجاه، لا يكشف كربة، عامله كبة، هَيُولَى[٢] مطلقة، سالبه كلية، فهو من البلية، لا يستشير لأحد بشأن، كثير الشِّقْشِقَة[٣] مِلسان[٤] يعرض عن الحق عَيَّان[٥]، فهو أحد القاضيين، قد حرم نعيم الجنان، يقبل شهادة الزور، لا ينظر في عواقب الأمور، كأنه لا يؤمن بالبعث والنشور، ولا يرى في التنقل من القصور إلى القبور، فهو رجل مغرور أو مسحور، فلا يفيق من الغفلة، كأنه أخذ زماناً من المهلة، فهو أضعف من نملة، فقد قيل في هذا المعنى:

(بيت مفرد)

فلا تُؤذِ[٦] نملاً إنْ أَرَدْتَ كَمَالكَا ... فإنَّ لها نفساً تطيبُ كَمَا لَكَا

ليس هو أهل الوظيفة، ولا يتأمل ما قال أبو حنيفة، الذي دَوَّنَ الفقه رضي الله عنه فالله تعالى راض عنه، ولا رَضِيّ يقبل القضاء بعدما جرى له من الأمور ما جرى، فهو في الآخرة مسرور، ممتع في القصور بالحور، وقد رضي عنه الرحمٰن وأسكنه فسيح الجنان، فرحم الله من اتبع النعمان[٧] وأعرض عن القضاء في هذا الزمان.

صاحب الذوق السليم من الموَقعين:

لكاتب السر معين، على أسرار الملوك أمين، قد قرا ودرا، وفهم مكاتبات الملوك والأمرا، والمباشرين والوزرا، ومكاتبات النياب،

---

(١) أراد أنه ذو وجوه كثيرة وليس دا وجهين حسب.

(٢) الهَيُولَى: المادة الأولى، ج. هَيُولَيات، والنسبة إليه: هَيُولِيٌّ، إغريقية.

(٣) الشِّقْشِقَة: يقال شَقْشَقَ البعير إذا هَدَر، ومنه سُمي الخطباء شقاشِق: شبَّهوا المِكْثَارَ بالبعير الكثير الهَدْرِ.

(٤) سبقت.

(٥) لفظة عامية فصيحتها: مُعْيٍ.

(٦) في الأصل: «تؤذي»!!.

(٧) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا الفقيه المشهور، توفي سنة ١٥٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومراسلات الأحباب والأصحاب، رأيه صواب، يفتح لكل خير باب، يعرف علم الإنشاء وعلم الكلام، / رجل همـام على الملوك مقدام، [ق ٦] صاحب معرفة وآداب، ذكاؤه مفرط عجب، عارف بمقام أهل الرتب، صاحب منظوم ومنثور، وتدبير في جميع الأمور، خطبه مليح، ولسانه فصيح، يعجز الفصحاء من الكتّاب، بسرعة قراءة الكتاب ورد الجواب، عرف مصطلح الأتراك والأعجام، والتكرور[1] والأروام[2]، تركي عربي، ويحل العقيلي[3] والمغربي، والفهلوي[4] والسرياني، والمغلق الصعب الديواني، له مشاركة في جميع العلوم، ليزيل بذلك من قلوب الملوك الغموم، لا متكبر ولا رقيع، قد أتقن صنـاعة التـوقيع، رجـل همّام والسلام.

ضد ذلك المسلوب الذوق من الموَقعين:

أدلع الدلعين، لا كاتـب ولا معين ولا هو لأسرار الملوك بأمين، لا قرا ولا درا[5]، ولا يعرف مصطلح الملوك ولا الأمرا، ولا المباشرين ولا الوُزَرا، إن كاتب النواب، أوقع الشر والضراب، وأعظم ما تراه غلطان[6]، إذا كتب مرسوم السلطان، اشترى الوظيفة بالفلوس، بـرأيه

---

(١) التَّكْرُور: هم جيل من السُّودان يقطنـون الآن فيما يسمى بمـالي والنَّيْجَر وغيرها من دول غرب إفريقية.

(٢) الأروام: جمع روميّ.

(٣) كذا في الأصل، فإن كانت غير محرَّفة فهي نسبة لبني عُقَيْلٍ.

(٤) في الأصل: القَهْلوي: تصحيف، والصواب بالفاء الموحدة كما أثبت، وهي اللغـة الملكية الفـارسية، وهي خط ولغـة الإيرانيين في زمـان الأشكانيين والساسانيين، وقد ظلت هذه اللغة رائجة حتى دخول الإسلام.

(٥) أراد لا قَرَأَ ولا دَرَىٰ.

(٦) فصيحها: غَالِطٌ، وانظر ما سبق.

المعكوس، وأخذ له فرس[1] يا ليته اشتغل بكتابة القصص، في قلوب طائفة الموقعين منه غصص، كيلون علكي[2]، والخاتمة يتحدَّثُ بالتركي، لا يعرف علم الإنشاء ولا علم الكلام، رجل مهمل والسلام، ينصب على بابه دكة، وبيته عِبْرة وَهْتَكة[3]، عاوز[4] ألفين صكة أحمق رقيع، أيش[5] بلاه بصناعة التوقيع، ما يحسن قراءة كتاب، ولا يفهم رد جواب، ولا يعرف مراسلة الأصحاب والأحباب، مسلوب الذوق، والخاتمة يعمل له طوق[6]، لا تاريخ ولا أدب، وهو في الحماقة عجب، جبان غير مقدام، ولا يفهم شيئاً من الكلام والسلام.

صاحب الذوق السليم من الخطباء:

عليّ الرتبة، قصير الخطبة، معانيه منتخبة، ألطف من نسيم الصَّبا، يعظ نفسه قبل أن يعظ الناس، عوَّذته برب الفلق والناس، يخفف الركعتين[7]، والجلسة بين الخطبتين، يعرف ولا يعرّف، يبشّر ولا ينفّر، لا يقنط الآمن ولا يبعد الآمل[8]، ولا يبالغ في الرجوة خوفاً من

---

(١) كذا!. (٢) أي ذو شعر مطموم أي الملتوي.

(٣) أراد: مهتوك السِّتر.

(٤) بمعنى: يحتاج إلى، وهي كلمة عامية، أصلها من فصيح الكلام، قال الليثُ: العَوَزُ أن يُعْوِزَكَ الشيءُ وأنت إليه محتاج، وإذا لم تجد الشَّيءَ قلت: عَازَني، وقال الأزهري: عَازَني ليس بمعروف، وقال أبو مالك: يقال: أَعْوَزَني هذا الأمرُ: إذا اشتد عليك وعَسُرَ.

(٥) أيش: أصلها مكون من أي وشيء، ثم ضُمَّتا.

(٦) كذا، وانظر ما سبق.

(٧) أخرج مسلم في «صحيحه»: (٢/٥٩١) رقم (٨٦٦) وغيره عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه قال: «كنتُ أُصَلِّي مع النبي ﷺ الصلوات، فكانت صلاتُهُ قَصْداً، وخُطْبَتُهُ قَصْداً»: أي: بين الطول الظاهر، والتخفيف الماحق.

(٨) في الأصل: لا يقنط الآمن يبعد الآمل، وهو خطأ ولا يتّسق، والصواب ما أثبت.

إبطال العمل، بل يعرفهم طريق الإسلام، ويرغبهم في الجنة بصفاتها، ويحذرهم من النار وآفاتها، يردع المتكبرين، ويبشر الفقراء والمساكين بأن الجنة لهم فضلاً منه ومنّة، يعرف لكل شيء خطبة، وذلك لمعرفته بطريق الرتبة، ويبالغ في نعت الصحابة أجمعين، والخلفاء الراشدين، يبتدي بأبي بكر وخصائله الملاح، ويختم بأبي عبيدة ابن الجراح، خطبته لها رونق وسمعة، وتؤثر في القلوب، موعظته من الجمعة إلى الجمعة، إنسان مليح، لسانه فصيح، لا يحتاج في إنشاء الخطبة إلى مساعدة، كأنه قُسُّ ابن سَاعِدة[1]، يبتدي بالحمد لله، ويختم بالصلاة، والسلام على رسول الله، ﷺ، وشرف وكرم، له في الدين تمكين، هـذا خطيب المسلمين.

[ق ٧] **ضد ذلك المسلوب الذوق من الخطباء/ :**

لا يراعي القوافي، وحسه من فوق المنبر خافي[2]، لا يعـرف الناس من العجلة ما يقـول، كأنـه بهلول[3]، يتلف التصنيف، ويروي الحديث الضعيف[4]، كأنه من فقهاء الريف، يجعل الخطبة بأجمعها وعيد، ويذكر العذاب الشديد، لا يعرف تأليف الخطبة، وليس له رتبة،

(١) هو قُسُّ ين ساعِدَة الإيادِيُّ، يضرب به المثل في الفصاحة، وهو أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقُفَّ نجران، ويقـال: إنه أول من قال في كلامه «أما بعـد» وأول من خطب متـوكئاً على سيف أو عصا، طالت حياته ورآه النبي ﷺ قبل النبوة في عُكاظ ترجمته في البيان والتبيين ١/٢٧ والأغـاني ١٤/٤٠ والمـرزبـاني: ٣٣٨ والشـريشي: ٣٣٨ وعيون الأثر ١/٦٨ وغيرها.

(٢) كذا، والصواب: خافٍ، والسبب هو هو، وانظر ما سبق.

(٣) البُهْلُول: العزيز الجامع لكل خير، عن السِّيرافي، والبُهلول الحَيِيُّ الكريم، والمعنى المراد هنا: الضَّحَّاك.

(٤) وأمثال هذا كثير في هذا الزمان إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

لا تؤثـر موعظته في القلوب، لأنه من العلم والعقل مسلوب، يطيل الخطبتين، ويقرأ في كل ركعة بسورتين، لا يسلم من اللحن والغلط، والناس معه في تعب وشطط[1]، كثير الوسواس، ومـع ذلك يـزدري الناس، حاله عجيب، لا يصلح أن يكون خطيب[2].

صاحب الذوق السليم من الشهود:

يخشى الرب المعبود، رأيه مسعود، قلمه بالخير ممدود، قـرأ الكتاب وفهم الصواب، لو عينت له مملكة مصر وسـائر الثغـور، ما يقرب شهادة الزور، قِبِلَ الوصية من خير البرية، فعيشته رضية، عالم بأصول الدين، وصحة عقود المسلمين، فهو صاحب العدل والنقاء، ولا يناله تعب ولا شقاء، رجل أمين، حافظ على الدين، خائف من رب العالمين، لا يرافق الفساق، ولا يأكل في الأسواق، كثيـر التواضـع والسكون، له أجر غير ممنون، طيب الأخلاق، يحسن للرفاق، ويكره الرجل المطلاق، يصلح بين الرجل وزوجته، ويرضّي أخلاقهـا على نفقته، ويأمرها له بالطاعة، ويذكرها أن الله يسألهـا عن صحبة سـاعة[3]، ويأمره بمعاشرتها بالمعروف، ويكون لها مساعد وبها رؤوف، لا يكتم الشّهادة، اتخذ الخير عادة، فهو من أهل الشهادة والسعادة.

ضد ذلك المسلوب الذوق من الشهود:

ما يخشى الرب المعبود، رأيه مفسود[4]، يوقع نفسه في النـار لأجل الدِّينار، يضيّع مال الأيتام، ويحصّل الآثام، يساعد المرابي، وإثمه

---

(١) الشَّطَط: مجاوزة الحَدِّ والقَدْر.

(٢) كذا، وهو خطأ، والجادة: أن يكون خطيباً، وانظر التعليقات السابقة.

(٣) ورد حديـث في ذلك. ولكنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ، راجع «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٣).

(٤) كذا!.

رابي[1]، يشهد قبل أن يستشهد، بالشر مُعَوّدٌ، يشهد بالزور، في كل الأمور، آذى[2] من العقارب، والخير منه هارب، لا يقبل معذرة، ولا يفكر في الآخرة، قتلَ بشهادته ثلاثاً[3] ولا يعتبر بمن ماتا[4]، عديم الدين والسلام، وفرغ منه الكلام، يأكل مال اليتيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يفسد نظام المرأة مع زوجها، ويقول لها: أنا أفكر لك في المصالح، وأريحك من هذا المالح، وأنتِ[5] امرأة جليلة وهذه النفقة قليلة الرجال خير من هذا كثير، ويخليه معها كالأسير.

صاحب الذوق السليم من الكتّاب:

صحيح الحساب، سريع الجواب، رأيه صواب، يفتح للخير كل باب، قلمه أخضر وشرابه سكر، ومحلّه معطر، وغلامه مُدَبَّر[6]، وعبده صبيح، وخطه مليح، خيره مديد، تخدمه الجواري[7] والمماليك والعبيد، جواره طيبة وانشراح، ومباركة وصباح، وعبده الآخر سعيد، يعرف صناعة الديونة[8] ولا عنده عَلْوَنَة[9]/ ، إن خدم الأمرا، كان رأس [ق٨]

(١) الجادة: رابٍ، والعلة إحكام السجع.

(٢) في الأصل: أوذى من العقارب، وهو خطأ، والصواب ما أثبت، وآذَىٰ أي: أكثرُ وأشدُّ إيذاءً.

(٣) أي قُتِلَ ثلاث مرات.

(٤) كذا! وألِفُ الإطلاق إنما هي من لوازم الشعر وليس لها بالنثر صلة وعلاقة.

(٥) في الأصل: وانتي، خطأ، والصواب ما أثبت إلا أن يكون أراد المؤلف الاستكثار من العبارات العاميّة.

(٦) المُدَبَّر من المماليك: مَنْ أَعْتَقَهُ مالكه عن دُبُرٍ أي بعد موته.

(٧) في الأصل: الجوار، والصواب ما أثبت.

(٨) أي أعمال الدواوين.

(٩) العَلْوَنَة: العَنْوَنَة، والعُلْوان: العُنوان، وانظر القاموس المحيط (علن).

المَشورا[1]، وإن خدم الوزير، كان له مشير[2]، وإن خدم الملوك، سلك معهم أحسن سلوك، إن ركب المساحة[3]، وجد الفلاح به راحة، وعمّر البلاد، وطمّن[4] العباد، وإن باشر الجهات، كان في غاية السعادات، حبيب الصباح، خصائله ملاح، يحب الوجوه الصِّبَاح[5]، يترك عِشْرَة الوقاح، ويتفقد البطّالين والأرامل. ولا يحتاج لمستَوْفٍ[6] ولا لعامل، سيد الرفاق، سبحان الملك الخلّاق، شمعته موكبية، ورتبته علية، وعيشته هنية، ومجامعهُ سكَريّة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الكتّاب:

قليل الحساب، كثير المواقعة، لا ينفع بنافعة، له ألف واقعة، أقلامه مكسرة ودواته معصّرة، قليل القسم، ينهب حوائج المراء[7] ويسعى بها عند أقل الأمراء، ويصير عنده مضحكة ومسخرة، حتى ابنه ولد خرا، يكتب وحِش وبيته عفش، وكبره وسخ ووجهه غَبِشٌ[8]، وبالفشار[9] ينتفخ، ويقول قال لي السلطان، قلت للسلطان، إن باشر

---

(١) كذا! وهي عاميَّة وأراد أنه يكون رأساً في المَشُورَة، وقالت الثقات من علماء اللغة المَشْوَرَة بفتح الميم وسكون الشين: خطأ، والصواب: المَشُورة: بفتح الميم وضم الشين.

(٢) كذا، والصواب: مشيراً.

(٣) أي تَوَلَّى أعمال مسح الأَرَضِين.

(٤) أي: طَمْأَنَ.

(٥) أي الملاح، والصِّباح: جمع صَبوح.

(٦) في الأصل: إلى مستوفى، خطأ، والصواب ما أثبت.

(٧) أراد الناس.

(٨) أي أغبش.

(٩) الفِشار: أراد الكذب وهي عاميَّة لها أصل فارسي والفِشار بالفارسية معناه: الضغط والكبْس، وانظر المعجم الذهبي/ فارسي - عربي ص: ٤٣٥.

عند الوزير، عمله في البير[1]، وإن باشر في أحد الجهات أحدث المصائب والآفات، باب الخير عنه ممنوع، وعيلته ميّتين[2] من الجوع، حَزين رَزِين[3]، وعبده وغلامه من المساكين، لا يعرف صناعة الدِّيْوَنَة[4]، كثير العَلْوَنَة[5]، وطائفة الكتاب معه في عَنَاء، كثير الأذى ما يساعد أبداً.

صاحب الذوق السليم من المؤذنين:

حسن الصوت أمين، لا يطلق نظره إلى حريم المسلمين، يعرف الأوقات، يعلم الميقات، يعرف أسامي النجوم والكواكب، مكانه فوق السحاب راكب، يعرف عروض البلاد والمَيْل، وما زاد في النهار وما نقص من الليل، يعرف منازل الشمس والقمر، وما للنجم من تأثير إذا ظهر، يعرف في تحديد القبلة في الأسفار، في الليل والنهار والبر والبحار، شاطر حيسوب[6] قهرمان[7]، يعرف الأحكام، ديّن، صيّن، يتقن صنعة الأذان.

---

(١) أراد: في البئر.

(٢) الجادّة أن يقول: وعِياله توشك أن تموت من الجوع.

(٣) الرِّزين من الرَّزانة أي الثقل في العقل ورجاحة الأحلام كما قال الشاعر:
أحلامنا تزِنُ الجبالَ رزانةً.
والمرأة الرَّزان: ذات الثبات والوقار، قال حسان:
حَصان رَزَانٌ لا تُزَنُّ بريبةٍ وتصبح غَرْثى مِنْ لحومِ الغوافل
ولكنه أراد هاهنا: الثقيل البغيض.

(٤) أي لا يُحسن صناعة الدواوين.

(٥) أي يُكثر من العناوين، وانظر ما سبق.

(٦) الحَيْسوب: المشتغل بالحساب.

(٧) سبق التعريف بها.

وضد ذلك المسلوب الذوق من المؤذنين:

ليس بـأمين يحب الصغيـرين[١]، ويمـد بصره إلى حـريم المسلمين، لا يعرف الجيب من الميل، ولا ما نقص من النهار ولا ما زاد من الليل، ولا الزُّهَرَةَ[٢] من سُهَيْل[٣]، ولا الطالع من الغارب، ولا أسـامي النجوم من الكـواكب، لا يعرف قـوس الليل ولا قـوس النهار[٤]، وحِسُّه يشبـه صوت الحمار، لا يعرف البروج[٥]، وهو كثير الخروج، إذا أذّن بالقرب من الحارى[٦]، شمتت بالمسلمين اليهود والنصارى، ولا يعرف المهلل من المقنطر، وهو في صناعته مُحَيّر، يؤذي الأذان بالآذان[٧]، لا يعرف تحرير القبلة في الأسفـار، لا في الليل ولا في النهار، كثير النوم كسلان، يؤذن أي وقت كان، قليل العقل خسيف[٨]/، يصلح أن يكون يؤذن في الريف. [ق ٩]

صاحب الذوق السليم من المتكلمين على الكراسي:

ينبه الغافل والناسي، أقامه الله لمنافع الناس، وغسل قلوبهم من الغل والحسد والوسواس، ودفع الأرجاس، يؤلف بين قلوب العوام، بأطيب الكلام، ويأمرهم بإفشاء السـلام، وإطعام الـطعام، والصـلاة

---

(١) أي له ميل إلى الصِّغار والمُرْد.

(٢) الزُّهَرَة (بتحريك الهاء ولا يصح بسكونها): هي نجمة الصبح قال الشاعر:

قـد وَكَّلَتني طَلَّتِي بِالسَّمْسَـرةْ ... وأيـقـظَتْنِي لِـطُلوعِ الـزُّهَـرَهْ

(٣) سُهيل: كوكب يمانٍ، قيل لا يُرى بخُراسان ويُرى بالعراق.

(٤) أي يؤذِّن في أيّ وقت شاء مقدِّماً أو مؤخِّراً.

(٥) في الأصل: بروج، والصواب ما أثبت.

(٦) كذا!.

(٧) أي يصكُّ الآذان.

(٨) أراد: أحمق.

بالليل والناس نيام، ويعلمهم أمور الدين، ويصيّر لهم بذلك الأمان بتمكين، الموعظة الحسنة للنسوة، ويخلصهم بذلك من البلوة[1] يأمرهم بطاعة بعولتهن، وحفظ فروجهن، ويحذرهن من النيران ويوصيهن بإكرام الجيران، فهو فقيه مكمّل، صوفي[2] مجمّل، قرا ودرا[3]، باع نفسه للناس واشترى النفوس، بمواعظه من المكوس[4]، يعمل الميعاد، يذكر يوم المعاد، يعرّف ولا يعنّف، يبشر ولا ينفر، رجل أمين، فذلك واعظ المسلمين.

وضد ذلك المسلوب الذوق من المتكلمين على الكراسي:

لنفسه وأفعاله ناسي، رجل وجّاه[5]، أَلْجَأَهُ الإفلاس للكذب على الناس، فجلس على الكرسي، ونسي ما فعله بالأمس، جمع النسيوات[6]، وحكى لهم حكايات، وأنشد لهم أبيات[7]، ودخل بالزوكرة[8] فيهم، وواخا أجمل ما فيهم، ويقول يا أخت أنتِ[9] جميلة، ونفقتك قليلة، فلا بد ما أنفعك بورقة، لتزداد لك الكسوة والنفقة، وقد

---

(١) كذا! وهو خطأ، والصواب: البلوى.

(٢) وذلك لشيوع الصوفية في ذلك الوقت، والعجب ممن اشتهروا بين الورى بأنهم من أهل العلم يمتدحون الصوفية ويُمَجِّدُون مخاريقَها، فالحكم لله العلي الكبير.

(٣) انظر ما سبق.

(٤) المكوس، ج. مَكْسٍ.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) كذا، وأراد تصغير النسوة.

(٧) كذا، والجادة أبياتاً، وانظر ما سبق.

(٨) الزوكرة: مؤلفة من مقطعين زُو: بمعنى محتوى أو بحر، وكَرة بمعنى وعاء، أو هي كلمة شتم، والمراد: الاحتيال. وانظر المعجم الذهبي: ٣١٧ و٤٩٤ و٥٠١.

(٩) في الأصل: «أنتي»: والصواب ما أثبتُّ.

فتح باب التبتال[1] في غيبة الرجال، وأظهر الوجد والبكاء الكاذب، وذلك من أعظم المصائب، وإذا دعاه أحد من الأنام لشيء من الطعام، يقول أنا صائم، فلا يلومني في ذلك لائم، ويظهر أنه صائم الدهر، والله مطلع عليه في السر والجهر، وربما غرّ بعض الناس، بتلبيس الخَنّاس[2]، يأكل الدنيا بالدين ويتواضعُ للمتكبرين، ويزدري الفقراء والمساكين، ويَتَلَفَّظُ بكلام شيطان[3]، في هيئة إنسان، له أفعالٌ قبيحة، وتخالها مليحة، من الغوامض فليس هو بواعظ.

صاحب الذوق السليم من الشعراء:

لسانه فصيح، وتخيله مليح، وهجوه قبيح، التغزل والاقتباس والحماسة والجناس، والطباق والاكتفا، والتشابيه بمعرفة[4]، ينظم الموشح[5] والزجل، وكان وكان مثل العسل[6] والذوبيت والمواليا، والتهاني والمرثيا[7]، نظمه سريع، عارف بصناعة البديع، من أهل الهمم،

---

(١) أراد التبتُّل: ولم يسمع عن العرب بالتبتال.

(٢) في الأصل: بتلبيس الحلاس! وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل: ويمغلط البكلام شيطان، وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٤) في الأصل: بمعرفا!.

(٥) الموشح: فن اخترعه أهل الأندلس، وقد يكون بالفصيحة أو العامية، ثم صار إلى كلمات مقفاة وموزونة تشبه أوزان الشعر وتغلب فيها العربية ويوزن تلحينها بموازين خاصة، والزَّجَل: أصله رفع الصوت عند الطرب، ثم صار من مصطلحات كلام الأغاني السُّوقيَّة، والكان كان: من أنواع الأزجال.

(٦) الدُّوبيت: نظم مؤلف من بيتين بيتين يسلُكُ فيه ناظمُهُ أوزاناً غيرَ معهودة.

(٧) المواليا: أي الموالي أو المَوال، ثم شدَّد العَوامُّ واوَها، وهو أنواع: رباعي وأعرج ونعماني، والمواليا أو المواويل تكون من بحر البسيط وانظر معجم الموسيقى العربية: ١٠١، والمرثيا: أراد المرثيَّة وهي الندب وانظر معجم الموسيقى العربية: ٩٧.

وشعره حكم، قال سيد هذه الأمة: «وإن من الشعر لحكمة»[1].

يسكر بشعره الأنام، أعظم من المدام، أفديه من نديم، يذكرني العهد القديم، وصاحب الصحاح[2]، اكتب منه الأفصاح، يعجب أهل الألباب، بالتواضع للأصحاب، ولا مكابرة ولا محاورة، وله الأمثال السائرة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الشعراء:

أبياته مكسرة، قليل القشمرة[3]، يسرق أبيات الناس ويكابر، ويدّعي وقع الحافر على الحافر، لا يعرف صناعة القريض، والناس معه في الطويل والعريض، قليل العقل خسيف[4]، ثقيل الدم كثيف، [ق ١٠] يدعي اللطافة وهو مجبول على الكثافة، لا يعرف/ فناً[5] من الفنون والناس معه في غبون[6]، يعترض على الحذاق مجنون سيىء الأخلاق، قرقاع[7] مطلاق[8]، سبحان الخلاق، لا يعرف الأوزان، ولا فيه نوع من أنواع الإنسان كأنه حيوان.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن أبي بَكْرَةَ وعمرو بن عوف رضي الله عنهما، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» عن عائشة وحسان رضي الله عنهما، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) صاحب الصِّحاح: الجوهري اللغوي.

(٣) القَشْمرة: كلمة تركية بمعنى الخديعة، وأراد أنه قليل الحيلة.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) في الأصل: «فن»!!.

(٦) أراد: في غُبْنٍ.

(٧) أي يكثر من القَرْقَعَة والجَعْجَعَة.

(٨) أي يحلف بالطلاق دائماً.

صاحب الذوق السليم من الندماء:

أشعار ومنادمات، ونوادر مضحكات، وتواريخ وحكايات، وأسمارٌ مذهبات، يقضي حاجتك، ويلبي دعوتك، ولا يخذل كلمتك، يجلب إليك السرور، ويساعدك في كل الأمور، يأتيك بالفرح، ويذهب عنك الترح، يحببك إلى الأصحاب، ويجمع بينك وبين الأحباب.

(بيت)

لـو لم يكنْ مثلَ النَّسيمِ لَـطَافَةً ما كانَ يعطِفُ لي غصون البانِ

رجل مطواع، لقولك سماع، يدري الجميـل، ويقنع منـك بالقليـل، ويسيـرك أحسن سير، يعلمـك الكرم، ويتـرك عنك الندم، ويعلمـك السخاء والسماح والخصائل الملاح، ينبهك على صلـة الرحم والقرائب والأصحاب والحبائب، يواسيك ويسليك، ويتوجع إليك ويكفيك، فهو الخليل والرفيق، فنعم الصديق.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الندماء:

كثير الغلبة، مالح الرقبة، وعشـراؤه[1] معه في غلبـة، مقراض الأعمار[2]، غمر من الأغمار، يكابر في المحسوس، وهو أبلم[3] من التيوس ذو فهم معكوس، ما يعاشرك إلا لأجل الفلوس، يظهر الشفقة إليك، وهو في الحقيقة عليك، يقطع على الحاكي حكايته، ويحكي مثلها بسماجته، يشبه الماء بالماء، ويدعي البصيرة وهو في الحقيقـة أعمى، ينغص العيش بالمكابرة وبثقالة الدم والمحاورة، يظهر القبيح، ويخفي الجميل، ولا يفعل من الخير كثير ولا قليـل، رديء النفس

---

(١) العُشَراء: جمع عَشير، وهو المعاشِر والخَدِين.

(٢) أي: يقصر الأعمار.

(٣) الأَبْلم من الرجال: أي من كان غليظَ الشفتين، وأراد: أقبح، أو لعله أراد أشد حُمْقاً منها.

طمّاع، خسيف العقل قرقاع، يصافي من يعاديك، ويصاحب من يجافيك، يفشي الأسرار، مكّار عيّار[١]، كثير الفشار[٢]، كمثل الحمار يحمل أسفار[٣]، يعلمك البخل وقلة الخير، ويسيرك أحسن سير، يحسد على النعمة، ويفرح للنقمة، دعوته عريضة وَطَوِيَّتُهُ مريضة، يبغّضك إلى الأصحاب، ويبعد بينك وبين الأحباب، كثير الدلاعة[٤] كذّاب، رأيه غير صواب، لا ينفع ولا يشفع، وهو من أشعبَ[٥] أطمع لا يسعفك ولو كنت في الغرق، ويبيعك بفلسين عتق.

صاحب الذوق السليم من الطفيلية:

خدمة أبناء الناس في نفسه سجية، نظيف الثياب، سريع الجواب، يشد وسطه في المقام، ويدير المدام، يقدم النعال ويجعل ركبته وسادة لمن قال[٦]، تربية الأحرار، يقنع بالفول الحار، إذا سقيته دمعة يخدمك جمعة، لعوب ضحوك، للأصحاب مملوك، يشرح الأصحاب، ويجلب لهم الأحباب، داخل الطباع، لقولك سمّاع، كثير الاحتمال، لا يلح في السؤال.

(١) العَيَّارُ: من يَعيث، وعار الرجل في القوم يضربهم: مثل عاث.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) كذا، والصواب: أسفاراً، وهو مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة: ٥].

(٤) عامية، وأراد بها: الدَّلَع.

(٥) أشعب الطامع: هو أشعبُ بن جُبير، ويقال له ابن أم حُميدة، ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم: ظريف من أهل المدينة وكان مولى لعبدالله بن الزبير، تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء ويُضْرَبُ المثل بطمعه وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب، توفي سنة ١٥٤، وقيل أدرك زمن عثمان رضي الله عنه. ترجمته في فوات الوفيات ١/٢٢ وثمار القلوب: ١١٨ وتهذيب ابن عساكر ٣/٧٥ وتاريخ بغداد ٧/٣٧ وغيرها.

(٦) أي: نام نومة القيلولة.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الطفيلية:

لا يعرف شيئاً من المسخروية، عشرته بلية، يفرزن[1] بيت الوليمة ويحضر بلا عزيمة، شيطان عيّار، أوكل من نار يأكل خاروف[2]، ويحسبه صاحب الدار من الضيوف، ضبع من الضباع/، [ق ١١] يصابح على الملاح، و[في][*] الخاتمة يخطف الأقداح، لا لطيف ولا كيِّس، يركب بلاش[3] ويغمز امرأة الريس، يثقل المجالس ويحفظ المناحس[4]، غير موفق، لا يغنّي ولا يصفق، كودن دقنيس[5]، دواءه السك بالبراطيش[6]، إن مات لا يجيبه يعيش، ينزل الخندريس[7]، ولا يبلع إلا الحشيش[8]، شيخ الفسوق، مأواه باب اللوق[9].

صاحب الذوق السليم من الشحاذين:

قليل السؤال، كثير الاحتمال، يرضى بالقوت، حتى لا يصير ممقوت[10]، راضٍ بقسمة الله، متوكلاً على الله، يمضي خماصاً ويعود

(١) من الفِرْزان: من لُعَب الشِّطْرَنْجِ، أعجمي معرَّب، ج. فرازين.

(٢) الصواب: يأكل خَرُوفاً، وإنما تجشَّم لإحكام (قَفْلَة) السجع.

(٣) بَلاش: عامية أصلها من الفصيح مؤلفة من كلمتين: بِلا وشيء.

(٤) أي المنحوسون.

(٥) كذا، ولعله أراد أنه مثل دابة ديوقنيس الحكيم الإغريقي.

(٦) كذا، والجادة: الصَّك، والبَراطيش: النِّعال المُقَطَّعة الممزَّقة، عامي ذو أصل أعجمي.

(٧) الخندريس: الخمر، وأراد حانة الخمَّارين.

(٨) هذا يشعر بأن الحشيش (وهو المُخَدِّر المُفْتِر) كان شائعاً في عهد المؤلف وكان يُتعاطى أكلاً.

(٩) باب اللُّوق: من أبواب القاهرة القديمة الخارجية، ولا يزال هذا الباب محتفظاً باسمه ومعروفاً حتى يومنا هذا.

(١٠) كذا، والصواب: ممقوتاً.

(*) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

بطان[1]، فهو من الشيطان في آمان، لا يكنز شيئاً من المال، كثير الصبر والاحتمال، يقينه صادق، يكره سؤال الخلائق، وزاهد فيما في أيدي الناس، خليّ من الهم والوسواس، مواظب على الخمس، لا يحزن على ما فاته بالأمس، مهذب الأخلاق، لا يخالف الرفاق، كل خلوة عنده حلوة، إذا حصلت له المؤونة، فلا يشق المدينة عفيف النفس نظيف، لا يسأل الناس في أكثر من رغيف.

وضد ذلك المسلوب الذوق من الشحاذين:

يشحت[2] بالقسم ويُقْلِقُ الأمم، ثقيل الدم لحوح، لو حلفت له بالطلاق ما يخليك ويروح، جَرَبَنْدِيَتُه[3] ملآنة كُسَر، ويحلف أنه ما فطر، يشحت من بكرة إلى العشاء، ويقول أنه بات بلا عشاء، يجهل نعمة الله، ولا يرضى بما قسم الله، وقلبه ملآن من الحسد، ولا يشكر أحد[4]، يكنز الفضة والذهب ورؤيته في القذارة عجب، يسأل وعنده ما يكفيه بالمزيد، فكأنه من نار جهنم يستزيد، لا يشتري له حاجة

---

(١) كذا! وهي عبارة في منتهى الرَّكاكة: والصواب: يمضي خميصاً ويعود بَطِيناً. ومعنى بطين هنا: شبعان وهي في الأصل: الرجل الذي يهمه بطنه.

(٢) أراد يَتَسَوَّل، وهي عامية، ومعنى يشحت بالقسم؛ أي أنه يُقسم على من يراه بالله أن يُعْطِيَه مما يُسبِّبُ في عَنَتِهِ وإحراجِهِ.
قال أبو بكر الأنباري: «وقولهم: رجل شحاث، مما يخطىء فيه العوام، فيقولونه بالثاء، والصواب: رجل شحاذ بالذال، وهو الملحّ في مسألته» من «المزهر»: (١/٥١٨) والسيوطي يوردها هنا بالتاء، ولعل ذلك من اللغة الدارجة في عصره.

(٣) الجَرَبَنْدِيَّة: الجِراب يوضع على الكتف مثل كِنَانة السِّهام، لفظة شاعت في العهد المملوكي وهي مؤلفة من جِراب العربية، وهي الوعاء المعروف، وبَنْد: بمعنى الرِّباط، وانظر المعجم الذهبي: ١٢١.

(٤) كذا! وهي لإقامة السجع، والصواب: أحداً.

بفلوس، بل يشحت من النصارى واليهود والقسوس، كثير السؤال قليل الاحتمال، نذل من الأنذال، ما يكفيه كافية، فلا شفاه الله تعالى بعافيةٍ.

صاحب الذوق السليم من العوام:

يفهم بعض الكلام، كثير القشمرة[1]، قليل المعيرة، ترف مسخرة، يقضي حوائج أولاد الحارة، ولو أنه يقع في الخسارة، يردف الرفيق، ويؤانسه في الطريق، قشمر[1] عصبي، يعمل بلان وجلبي[2] يتحسّن ويتكيّس، ولو نزلت في رقبته ما يعبّس، خفيف الروح مزاح، كثير السماح، طعم ليّن المعيشة، عباءته مفروشة وطبقته مرشوشة، يلعب بالطاب والكنجفة[3]، وله في طريق الخراع[4] معرفة، بشاش كان وكان، وله في السخرية إمكان، عامي مخلوع، شريف النفس مطبوع.

وضد ذلك المسلوب الذوق من العوام:

ما يفهم معنى الكلام، ولا يعقد الكاف، كثير النكاف[5]، كذاب حلاف، عاوزه برذعة ولكاف، وعلقة سراميج وسك جزاف، حتى يقلع

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) الچَلَبي (بجيم ثلاثية): تعني السِّيد. وهي فارسية تركية. وانظر المعجم الذهبي: ٢٢٢.

(٣) الگَنْجِفَة: وَرَق اللِّعِب، انظر المعجم الذهبي الفارسي العربي: ٥١٢، والطاب: أي الكرة: لفظة أعجمية، وتأتي بمعنى أُرْجوحة، وانظر: ١٧٨.

(٤) كذا، ولعلها من الخرع، وهو هاهنا ممدوح!.

(٥) أي كثير الكلام، يقال: تناكَفَ الرَّجلُ وأخاه الكلامَ: أي تعاوراه، ويقال: نَكَفَ الدّمع وانتكفه: نَحّاهُ عن خدِّه بأصبعه، وكذلك يقال في عَرَق الجبهةِ.

من دماغه هذا النشاف، لأنه للحشيش سفّاف[1] وللقاذورات لفاف[2]، وإن كان جبّان[3]، فعيبه قد بان، وإن كان خباز[4]/ فهو للذرة ممتاز، [ق ١٢] وإن كان زيات[5] في قطارميـزه[6] ألف فار قد مات، مشيه حافي، عدو الأسكافي[7] وإن كان عطار[8] فشرابه من غسالة الأمطار، وإن كان جبان[9]، فجبنه الأزرار[10] جميعه منتن على الأجهار، عمره ما صلى ركعة، وله في الشر سمعة، يناقر بالديوك، ويناطح بالكبوش[11]. قذر كثير الوساخة والعماش.

صاحبة الذوق السليم من النساء:

صيّنة، ديّنة، الجنـة لها معينـة، لينة المعـاطف، قلبها من الله خائف، لا يتكلف بعلها مـا[12] لا يطيق، فهي من المؤمنـات بتحقيق،

---

(١) أي يَسِفُّ الحشيش.

(٢) أي يكثر من لَفِّها.

(٣) كذا! وهي من النهج العامي.

(٤) انظر ما قبلها.

(٥) انظر ما سبق.

(٦) جمع قَطْرَمِيز: إناء كبير يكون من زجاج يستعمل للزيـوت والأدهان. معـرَّب.

(٧) يقال لخاصف النِّعال: الإسكاف بدون ياء النسبة، ثم شاعت اللفظة مع ياء النسبـة بين العوامّ، والصـواب في حافي: حـافٍ، وكان يمكن أن تؤلَّفَ العبـارة من غير الخـوض في لجج السُّـوقيَّة هكـذا: مشيـه حـافٍ، عـدو للإسكاف، ومعنى عدو الإسكاف: أي لا يحتاج إليه في خصف نعله فهو لا يمشي إلّا حافياً!.

(٨) كذا! وانظر ما سبق.

(٩) كذا! وانظر التعاليق السابقة.

(١٠) كلمة يستعملها العوام بمعنى قِطَعٍ.

(١١) أراد: الكِباش.

(١٢) في الأصل: «لما»!!.

ليست سخابة[1] ولا كذابة، جفونها وسنة، وألفاظها حسنة، تقنع باللباب ولو كانت الخيشةَ لها جلباب[2]، شفوقة[3]، رفوقة[4]، فهي نعمة وثيقة، تأكل من ماله بالمعروف، ولا ذبح كل يوم خاروف[5]، لا تشكو بعلها للجيران، خائفة من النيران، نهارها صيام، وليلها قيام، ودينها تمام[6]، كثيرة السكون، سوداء العيون[7]، عاشقها مفتون، كيسة ظريفة، عفيفة شريفة، لطيفة نظيفة، لا تنقض العهود، قليلة الصدود، ناعمة الخدود، الملكين لها شهود[8]، لا تسفر عن وجهها لغير بعلها، ولا تلين كلمتها إلا لأهلها، تزيد محاسنها بالعبادة، وتتخذ الخير عادة، داعية إلى الله أن تموت على الشهادة.

وضد ذلك المسلوبة الذوق من النساء:

سخابة[9] ، سخاطة[10]، حمرية، شرواطة[11]، حرفوشة[12]،

(١) السَّخَّابَةُ والصَّخَّابَةُ: واحد، وهي المرأة شديدة الصوت.

(٢) كذا، والجادَّة: جلباباً.

(٣) و(٤) لم تسمع هذه الصيغة عن الفصحاء، وإنما يقال: شفيق وشفيقة، ورفيق ورفيقة.

(٥) انظر ما سبق.

(٦) الجادَّةُ أن يقول: ودينها تام لأن الشيء لا يوصف بالمصدر.

(٧) كذا! فتأمل.

(٨) كذا في الأصل، وتستقيم العبارة بأن يقال: والمَلَكان لها من الشهود.

(٩) مرت.

(١٠) أي كثيرة السخط.

(١١) عاميَّة: لعله أراد بها أنها كثيرة الشُّروط، أو أراد أنها يسيل منها اللُّعاب،

(١٢) سبق التعريف بها.

عياطة[١] ، لا يصطلى لها بنار، وهي من الأشرار، تتمنحس[٢] وتغير، وزوجها معها كالأسير، تكلف زوجها ما[*] لا يطيق، فهي في جهنم بتحقيق، لا تقنع بالقليل، ولا تراعي في الأنام خليل[٣] ، كثيرة الملل، ولو لبست حلة من الحلل، زرافية المعنى[٤] ، فافهم هذا المعنى، ويعجبها كل من حصّل، تكره الحلال، وتبدي له الضجر والملال، كثيرة الرفاق وتهوى السحاق، قال فيها بعض الحذاق:

(بيت)

شيخة الفسق والمغاني[٥] جميعاً حللت في الحرام ما لا يجوز

ساحقت طفلة[٦] ، ولاطت وزنت كهلة، وقادت عجوز[٧] مكارة، عيَّارة[٨] ، يركبها صغار الحارة، كأنها حمارة الراهب زُرارة[٩] ، نحسها معروف، وكم أنفق[١٠] عليها من الألوف، حالها متلوف ولو ذُبحَ لها كل يوم خاروف.

فرحم الله امرأة تأملت هذه الخصال وجعلت بينها وبينها انفصال[١١] .

صاحبة الذوق السليم من الجواري[١٢]:

صحة وسلامة من كل عار، راشدة ورشيدة، مباركة وسعيدة، ناعمة

---

(١) سبق التعريف بها. (٢) عاميَّة: أي يصحبها النَّحْسُ دائماً.

(٣) كذا، وهو خطأ، وانظر ما سبق.

(٤) لعله أراد من أَزْرَفَ القومُ إِزْرافاً: إذا عجِلوا، أي: إنها متقلبة، أو أن أخلاقها

(٥) مشتقة من أخلاق الزَّرافة الحيوان المعروف.

أراد: الأغاني، والمغاني لها في الفصيحة معنى آخر.

(٦) أي مارست السَّحاق وهي طفلة.

(٧) الصواب: عجوزاً. (٨) سبق شرحها.

(٩) لعله اسم راهب كان في زمن المؤلف.

(١٠) في الأصل: «نفق»!!. (١١) الصواب: انفصالاً.

(١٢) في الأصل: «الجوار»!!. (*) في الأصل: «لما»!!.

ولذيذة، أحسن من حضر في المقام، تفتن الأنام حلوة وسمرة[1]، زهرة خضرة، فهي لمن حصل بها طيبة وانشراح[2]، كأنها نور الصباح، تعد من/ الملاح خَوْدٌ[3] رَدَاح[4]، تصلح للنكاح، خصائلها [ق ١٣] ملاح، بها زاد المال كثيرة الاحتمال، ربِّيت في الدلال، يرى الخير بها والاعتدال، فهي رأس السعادة، تتخذ الخير عادة، كثيرة الخدمة، عالية الهمة، فهي قهر الأعداء وكيد الحسود، وسيدها عليها محسود، ناعمة الأكعاب، فهي من الأتراب، تهدى للأحباب من باعها خاب، ومن اشتراها أصاب، أحسن من غزال وأحلى من وصال، جوهرة يتيمة، هدوة[5] كريمة، لها فنون وذوق، ولها زاد الشوق، أزكى[6] من نِيلوفَر[7] ونسرين[8] وتفاحة وياسمين، فهي شمس الضحى، للملوك صالحة، وصل للحبيب، من عاش بها يطيب، أنعم من حرير فهي شفاء القلوب، لقاء المحبوب، بفن العود مشغولة ونقر الطار[9]، فهي طرفة بين الجوار.

---

(١) كذا! وفصيحها: سمراءُ.

(٢) كذا!.

(٣) الخَوْدُ: الحَسَنَةُ الخَلْقِ الشابة أو الناعمة من النساء، ج. خَوْدَاتٌ وخُودٌ.

(٤) الرَّدَاح: العظيمة الجسم الممتلئة من النساء.

(٥) لعله أراد هادئة الطبع.

(٦) في الأصل: أذكى، وهو خطأ، والصواب ما أثبت.

(٧) النِّيلوفَر: اسم زهرة. لفظة فارسية معرَّبَة، وجاء في الأصل: النوفرة، وهو خطأ، والصواب ما أثبت، وانظر المعجم الذهبي الفارسي العربي: ٥٨٣.

(٨) النِّسْرِين: نوع من الزهر المُلَوَّن صغير الحجم كثير الأوراق طيب العبير، فارسي معرَّب وانظر المعجم الذهبي: ٥٦٧.

(٩) الطَّار: الدُّف أو هو دف مدور ذو وجه واحد مُغَشَّى، في إطاره صنوج. انظر معجم الموسيقى العربية: ٤٠.

وضد ذلك المسلوبة الذوق من الجواري:

لا صحة ولا سلامة، في كل عار، أفشر من فشار[١]، تصلح لتصفية الأمزار[٢] ولسلخ جلد الفار، ولجمع الزبل والأقذار، وفي المعاصر لوقيد النار، بائعها عيَّار وشاريها حمار، سارقة هاربة، بالليل والنهار، لا راشدة ولا رشيدة، ولا مباركة ولا سعيدة، متعوسة[٣]، منكوسة، كأنها وجه جاموسة، صنانها فاح، معكوسة الصياح، لا يحصل بها طيبة ولا انشراح، إذا خرج خلقها تخنق بنتها، وأيضاً تقتل ستها، وتشتُم سيدها بالسوداني، وتعاكسه في جميع ما يعاني، إن طلب منها زبدية[٤]، تجيئه بركوكية[٥] أنحس الجنوس[٦]. وتفهم المعكوس، ما تسوى أربع[٧] فلوس، ما يجيبها إلّا قلس من القلوس[٨]، أو سحيتي[٩] منحوس، كثيرة الدمدمة، وأقبح ظلمة، من أعوان الظلمة، لا هي نصرانية ولا يهودية ولا مسلمة، لو أقامت عند أستاذها عشر سنين، كانت تتحدث بالسين، كردوشة، منبوشة، سرموجة، برطوشة[١٠]، ما تسوى قرقوشة[١١]، قحبة كورة[١٢]، تربية النَوَرَة[١٣].

(١) مرت.

(٢) الأمزار: جمع مِزر، وهو نبيذ الذُّرة، وانظر ما سبق.

(٣) لفظة عامية، فصيحتها: تَعِسَةٌ.

(٤) و (٥) الزُّبْديَّة والركوكية: من الآنية.

(٦) لفظ عامي فصيحه: الأجناس.

(٧) في الأصل: ربع فلوس، خطأ، والصواب ما أثبت.

(٨) جاء في المعجم: المُقَلِّس: الذي يلعب بين يدي الأمير إذا قَدِمَ المِصْرَ، فهي من هذه والله أعلم.

(٩) عامية، وهي من السُّحْت: أي الذَّبح.

(١٠) ألفاظ عامية وهي شتائم بذيئة.

(١١) أي ما كان سهل المضغ من العظام.

(١٢) لفظ عامي بمعنى: الكرة أي أنها يُلْعَبُ بها كما يُلعب بالكرة.

صاحب الذوق السليم من العبيد:

راشد رشيد، موفق سعيد، مبارك وليد، مفتاح لأبواب الصلاح، فلاح ونجاح، لسانه فصيح، ووجهه صبيح، ما يعرف فعل قبيح، محافظ على الصلوات والآداب، رأيه صواب، أشجع من عنتر[1] وأفخر من ياقوت وجوهر[2]، سعد أكبر، وسعد مدبر، به يحصل السرور مساعد سيده في الأمور، به يحصل الفرج، وشذاه عنبر تأرج، عبد نافع، لسيده مطاوع، ريحانة العبيد، أقوى من الحديد، شاطر أسمر، أسرع من قنبر[3]، فتى في الرجال، حَظُّه كَحَظٍّ بلال[4]، بدر أقمر، سعد أكبر، أضوأ من هلال، أغلى من دينار، نجيب عليه إقبال، يسوى ألف مثقال، حامي حمى سيده بالحسام، فهو سيد أولاد حام، يحصل لسيده/ الفرح، ويذهب عنه الترح إن دخل وإن خرج. [ق ١٤]

وضد ذلك المسلوب الذوق من العبيد:

أبلم[5] بليد، لا سعد ولا سعيد، ولا مقبل ولا رشيد، قوته لحم الفار، وشرب الأمزار[6]، ما يسوى قنشار[7]، ولا ربع ثمن سدس

---

(١٣) أراد النَّوَر وهو ما يطلق في بلاد الشام على الزُّط وهم جيل من الناس أصلهم من الهند.

(١) هو عَنْتَرَة بن شدَّاد العبسي الشاعر الفارس، يضرب به المثل في الشجاعة، كان من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ترجمته في الأغاني ٨/٢٣٧ وخزانة الأدب ١/٦٢ وآداب اللغة ١/١١٧، والشعر والشعراء: ٧٥ والأعلام ٥/٢٦٩ وغيرها.

(٢) من أسماء المماليك وأراد أن المملوكَ الحَسَنَ لهو أفضلُ من هذين الجوهرين النفيسين.

(٣) قَنْبر: غلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) هو بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ.

(٥) (٦) (٧) مرت كلها فانظرها في أماكنها.

دينار، عاوز نقلة جدار، أو برذعة وحمار، يملأ وينقل عليه طول النهار، أو حمل بلا أسطار، الحرام له غيّه، وفيه سائر العيوب الشرعية، مخانق مضارب، سارق هارب، إن شبع فسق، وإن جاع سرق، أنجس الجنوس[1] يصلح لرعي الجاموس، فهو لكل شر مفتاح، ما فيه نجاح ولا فلاح ولا صلاح ولا خير، وسيره أنحس سير، أنحس من جلب من الصعيد، جبار عنيد، عاوزه[2] قيد جديد، وما ربك بظلام للعبيد.

---

(١) (٢) مرت كلها فانظرها في أماكنها.

باب الطرب

صاحب الذوق السليم من المطربين من أهل السماع والعوادين:

أستاذ أمين، يعرف طرائق التلحين وجس العود، في حركاته مسعود، وهم أربع طرائق، يفهمها صاحب الذوق السليم الحاذق، الكد، واللفظ، والمضعف والمدور، يسلكهم في سدِّ الأصل والمحير والأوج والكرادانية[1] فيحصل للنفوس بذلك طُمَأْنينة[2]، تراجيه ترجع إلى الإيقاع، ونقوشه على الأوضاع، فهو قوت الأرواح، ومعدن البسط والإنشراح، بعوده الملذذ، قلب الحسود أكمد كأنه مُخَارِقٌ[3] في الغناء

---

(١) هذه هي طرائق التلحين، ولها أسماء وأنواع عديدة، وانظر معجم الموسيقى العربية: ٨٨.

(٢) في الأصل: «طمأننانيّة»!!.

(٣) مُخارِقٌ: هو أبو المهنّأ ابن يحيى الجَزَّار، إمام عصره في فن الغناء ومن أحسن الناس صوتاً كان الرشيد العباسي يعجب به، واتصل بعده بالمأمون وزار معه دمشق، وتوفي بِسُرَّ مَنْ رأى سنة ٢٣١، وأخباره كثيرة جداً، وكانت سيدته عاتكة بنت شُهدة هي التي علمته الغناء والضرب على العود، ثم باعته فصار إلى الرشيد. ترجمته في الأغاني ٣/٧١ و٧٢ و٦/٢٦٢ و١١/٣٥ و٢١/٢٢٠ والشعر والشعراء: ٨٢٧ والطبري ١١/٢٢ والنجوم الزاهرة ٢/٢٦٠ والأعلام ٨/٦٨ وغيرها.

أو معبد[١]، إن جس الرست[٢] والعراق[٣] يهيم العشاق، وإن جس الزر وكنده[٤] والأصفهان[٥]، يهيم كل الجيران.

صاحب الذوق من المطربين بالنايات:

فبلغ من الطرب الغايات، وإن جس الرهاوي[٦]، فكأنه لإبراهيم ابن المهدي[٧] مناوي، وإن جس النَّوَىٰ[٨]، فكأنه لقلوب العاشقين دوا، أرفق الرفاق، فيحصل في الطرب غاية الإنفاق، لطيف الذات، فيصير المستمع في غاية السعادات، رجل مسرور، فيحصل به غاية السرور، يعرف الفواصل[٩] كريم النسب فاضل، رجل جواد، فهذا هو العواد، ماهر في الأصل والفروع، طيب النفوس قنوع.

---

(١) مَعْبَدٌ: هو مَعْبَد بن وهب المغني أبو عبّاد المدني، رئيس الغناء العربي في العهد الأموي كان مولى لبني مخزوم وكان راعياً ثم ظهر نبوغه في الغناء في المدينة ورحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه، ومات في عسكر الوليد بن يزيد، ترجمته في الأغاني ٣٦/١ - ٥٩، وتاريخ الإسلام ١٦٥/٥، ورغبة الآمل ٤/٦ و٤٢/١٧، والأعلام ١٧٨/٨، وغيرها.

(٢) - (٣) هذه مقامات الغناء، وسيأتي التعريف بها مفسراً في آخر هذا الجزء.

(٤) - (٥) هذه مقامات الغناء، وسيأتي التعريف بها مفسراً في آخر هذا الجزء، ومفصّلا، و(٤) صوابها الزيرافكند، وستأتي في الأرجوزة.

(٦) سيأتي التعريف به.

(٧) إبراهيم بن المهدي: هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور العباسي الهاشمي أبو إسحاق، الأمير، أخو هارون الرشيد، ولّاه الرشيد إمرة دمشق ثم عَزَلَهُ ثم أعاده، ثم لما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد دعا إلى نفسه وبايعه خلق فأهدر المأمون دمه، ثم عفا عنه، وكان جوّاداً حازماً توفي سنة ٢٢٤، ترجمته في وفيات الأعيان ٨/١ والأغاني ٦٩/١٠ و٩٤ وتاريخ بغداد ١٤٣/٦ وأشعار أولاد الخلفاء ١٧ - ٤٩ وغيرها.

(٨) سيأتي التعريف به مفصلاً.

(٩) المراد بها: الفواصل الموسيقية.

وضد ذلك المسلوب الذوق من العوادين:

يؤذي المستمعين، فهو من المجانين، سفيه ويلعب في خراه، سعد من لا يراه، من يجالسه بالنهار، يرتكب العار، لا يعرف كف ولا مدور، وهو في صناعته محير، عاوزه الصفع بالجلود، بما أعكسه في العود، كأنه حديد عاوزه نفيه للصعيد، بعوده المائح[1]، ثقيل الدم مالح، إذا قصد شيئاً من النقوش، أفسد حال الحاضرين لأنه كردوش[2]، يملأ المكان غوش[3]، لا يعرف إيقاع العيدان وعوده أنحس من طنابير[4] السودان، سخيف كثيف، ويظن أنه على القلب خفيف، لا يعرف ما يراد منه، جميعه غم وهم، لكن الجنية علّة الضم[5]، يستوي عنده الوحِش/ والمليح، ولا يعرف الحسن من [ق١٥] القبيح كما قال فيه بعض واصفيه:

(شعر)

وعواد سليب الذوق حقاً ... له نغم وضرب في انقلاب

إذا ما كرّ فرّ البسط عنّا ... وإن غَنَّى فَصِرنا في سرابِ

فَلا في نفسه نَفَسٌ ولكن ... يُصَدِّعُ سامعيه بإصطخاب[6]

(١) المائح: هو الذي يمتاحُ بالدَّلْو من البئر، ولكن لا مجال لهذه اللفظة هاهنا.

(٢) كردوش: في المعجم الذهبي كَرْدُو: غصن مقطوع من شجرة، فلعله هذه من تلك.

(٣) غوش: عامية تعني الصَّخب والضَّجِيج.

(٤) الطَّنَابير: ج. طُنبور، وهو من آلات الطَّرَب ذوات الأوتار مُخَصَّف الخَصْر أجوف، ذو عنق طويل، يشدون عليه غالباً ثمانية سلوك من حديد كل أربعة منها على نغمة واحدة وهو يجانس العود وهو أنواع. وانظر معجم الموسيقى العربية: ٤١ و٤٢.

(٥) كذا، ولم أتبينها.

(٦) في الأصل: بإصحاب، وهي خطأ، والجادّة ما أثبت.

يـظن بـأنـه لـلعـود يـدري ولا يـدري الخطا من الصـواب

دواه الصفع بالكف، ألفاً بعد ألف.

صاحب الذوق السليم من المغاني:

يفهم كثير المعاني، يعرف صناعة الإيقاع، مطرب يطرب الأسماع، يسكر بلفظه كسكر الراح، وينعش الأذن بالطرب، محاضرته عجب، فهو للطف النفس سبب، ذاته مجموع حسن، ينفي الوسن، بلفظه الحسن، وفي معانيه رقة، يعرف النكتة والدقة، يعرف الفن والأوتاد[1]، في علم الموسيقى أستاذ، عارف له بذلك نغمة، وذلك من الله أكبر نعمة، يستنجب الأشعار الطيبة، فإنه المراد والبغية، يدخل على القلب السرور، ويعرف العروض والبحور[2]، سلاحيّاته ذهب، لكل أستاذ غلب، يداوي كل قلب مجروح، لا كودن ولا بيشاني، لطيف لا يؤاخذ كل جاني[3] ويباديه بالإحسان، ما له في فنه ثاني[4].

وضد ذلك المسلوب الذوق من المغاني:

ليس له معنى من المعاني، في فن الأصول كأنه بهلول، صوته من الطيبة هارب، كأنه يضارب، أحمر رقيع، كبير البلعة سقيع[5]، ما له صديق، بارد النغمة، مخبل اليدين، ما يوافق لواحد معية، غناؤه من البرودية، كأنه ليالي الأربعانية[6]، ومن سماجته يتعاجب، ويقول كنت

---

(١) يعني الأوتاد الموسيقية، والوَتِد في الموسيقى: نَقْرَتان متحركتان يتلوهما سكون. وانظر معجم الموسيقى: ١٠٧.

(٢) أي علم العروض وبحور الشعر.

(٣) و(٤) الصواب أن يقال: جانٍ وثانٍ.

(٥) لفظة عاميَّة معناها: بارد.

(٦) أراد أن غِناءَه كأيام الأربعين في شهري كانون، والبروديَّة: عاميّة فصيحتها: البرودة.

أغني عند ابن الحاجب[1]، ثقالة[2] دمه معروفة، كأن نغمة صوته نعجة بلعت صوفة، يجلب الأخلاط السوداوية، يخانق[3] من في المقام ولو كانوا مئة[4]، يثقل المجالس، ويكذب ويتهالس[5].

(١) ابن الحاجب هو النحوي، والمراد أنه لا يميز.

(٢) ثقالة: عاميّة فصيحتها: ثِقَلُ دمه.

(٣) أي يُشاجر، وهي عامية.

(٤) أي مئة.

(٥) أي يتصرف مثل الدّون والسُّفْلَة من الناس.

خاتمة الكتاب وتحفة أولي الألباب

هـذه المقدمـة اللطيفة، والنبـذة المنيفة، في عـرفان الصـوت الحسن وأنواعه المنسقة للأسماع، والصوت الفاحش وأنواعه المؤلمة المؤذية المُنَفِّرة للطباع، والأنغام وأصولها وكيف تفرَّعَتْ وما به تنوَّعت.

الصـوت الحَسَن: جنسٌ ولا بدَّ لكـل جنس من أنواع تحتـه، فأنواع الصوت الحسن الشَّجِيّ والنَّدِي، والطيِّب والصحيح والرَّمَل.

فالشَّجِيُّ غذاءُ الرَّوح منعشُ الدم الصالح، والنديُّ منعشٌ للبُخار الغَرِيزي، **والطيب**: مسكِّن الأخلاط السَّوْدَاوِيَّة، **والصحيح**: كامل الأوز، والرَّمَل: مَسَكِّنُ البلغم.

وضد ذلك:

[ق١٦] **الفَج والرتق**: محرِّك/ الأخلاط الصفراويَّة، **والخارج**: يُنفِّرُ الطِّباعَ السليمة، مهيج للبلغم، **والمقلوب**: مهيج الدَّم الفاسد.

كما قال الشاعر في هذه الأُرْجُوزة.

(شعر)

اعلمْ بأنَّ الرَّسْتَ[١] أصلُ الكُلِّ   تفـرَّعَتْ منـه بحكم العقـلِ
فـإنـه أولُ مـا تَـفَـرَّعـا   ثـلاثـةٌ عنـه فصـارتْ أربعـاً

---

(١) الرَّسْت: ويقال له راست: مقام شعـري عراقي، وانـظر معجم الموسيقى العربية: ٧٨ وهي كلمة فارسية تعني: الصَّف.

الـرَّسْتُ أولْ والعـراق[1] تـابِعـهْ ... والـزُّوركند[2] أصفهـانُ[3] رابعـهْ

وَأَنْـزَلُـوهُـنَّ عـلىٰ الأَرْكـانِ ... وعَـدَّةِ الأخـلاطِ في الإنسـانِ

مُـشَـبِّـهـوا الأوّلِ فـي الأوتـارِ ... بـالمِـرَّة الصَّفـرا[4] وركن النـارِ

وثـانـيـهْ بـالـدَّمِ والـهـواءِ ... وثـالـثـهْ بِـبَـلغـمٍ ومـاء

والخَتْمُ بـالسَّـوْدا وركْنِ الأرضِ ... عند الطِّبـاق وسُلوكِ العَرْضِ[5]

الـرَّسْتُ للحذَّاق يبـدو زُنْكَـلا[6] ... وَيَكْتَسِي العُشَّـاقُ[7] منـه حُلَلا

عـراقٌ يَشْفي السَّامعين إذْ حَـلا ... بمـائـةٍ[8] وبـوسليـك[9] نَـزَلاَ

---

(١) العِراق: من أنواع المقامات النَّغَميَّة ويسمى هَفْتَگاه، وانظر معجم الموسيقى العربية: ص ٨٩ و١٠٧.

(٢) كذا! والصواب؛ زيرافكند، وهـو يأتي في الترتيب الرابـع، وانظر معجم الموسيقى العربية للأستاذ حسين علي محفوظ: ٩٨، بخلاف الذي هنا.

(٣) الأصفهـان: من المقـامـات. معجم المـوسيقى: ٥٩. وفي الأصـل: «وأصفهان» بزيادة واو.

(٤) المِرَّةُ: مِزاجٌ من أمزجة البَدَن، ويقال: غلبت عليه المِرَّةُ: أي انتقضتْ، والمِرَّةُ الصفراء: من أنواع المِرَرِ.

(٥) المعنى أن هـذه الأنغام والأوتـار تطابق أخـلاط الإنسـان: (أي مكـونـات جسمه)، فالرَّسْتُ يعادل المِرَّة الصفراء وركن النار، والعِراق: يطابق الدم والهواء، والثالث: وهو الزيرافكند، يطابق البلغم والماء، والأصفهان: يطابق السوداء: (أي المِرَّة السوداء) وركن الأرض، وأراد بالطباق: المطابقة.

(٦) الـزَّنكلاه: وهي الـزنكلولة أيضـاً، وهي العربـة الأولى الواقعـة بين اليَكاه والدُّوكاه، ومعنى العَرَبة: مسافة البعد الواقعة بين كل أصلين من الدَّرَجات (النَّغَمَات)، معجم الموسيقى العربية: ٧٩ و٨٩.

(٧) العُشَّاق: من المقامات، وهو الثاني عشر، وانظر معجم الموسيقى العربيـة: ٨٩ و٩٨.

(٨) المائة: ويقال لها المائة الصوت المختارة: أصوات من الأغاني، انظر معجم الموسيقى العربية: ١٤٠.

=

والـزّروكندُ والبُـزُرْكُ [1] اشْتَمَـلا ... لولا العُلوُّ بالـرُّهَاويْ [2] اتَّصَـلا

نَوىٰ [3] حُسَيْنِيٌّ [4] وَمَا قَدْ دَخَلا ... مَـعْ أَصْفَهَـانَ بِـدُخـولٍ وَصَــلا

فهذا الأصلُ وما تفرَّعَ منه والكلام مُتَّسِعٌ [5]، وفي هذا القول[6] مَقْنَعٌ.

وانتهى بنا إلى هنا حسنُ الكلام، والسلام.

تم الكتاب بحمد الله الملك الوهاب، سبحان ربك رب العزة عمـا يصفـون، وسـلام على المـرسلين والحمـد لله رب العـالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً.

تـــمّ

= (٩) بوسليك: وهي العربة الثالثة، الواقعة بين السِّيگاه، والجَهارگاه، وانظر تعريف العربية فيما سبق. معجم الموسيقى العربية: ٦٧.

(١) البُزُرْك: فارسية تعني: الكبير، وهو في الموسيقى والأنغام: من المقامات.

(٢) الرُّهاوي: من المقامات، منسوب إلى الرُّها المدينة المعروفة التي تسمى الآن: أورفة.

(٣) نوى: مقام شعري عراقي، والپنجگاه، وانظر معجم الموسيقى العربية: ١٠٦.

(٤) الحسيني: مقام شعري عراقي، وهو أيضاً اسم لوتر من أوتار العود، وانظر معجم الموسيقى العربية: ٣١ و ٧٤، ويقال للمقام: الشِّشْگاه.

(٥) فالمقامات إثنا عشر: رَاست، وعِراق، وأصفهان، وزيرافكند، وبُزُرْك، وزنكوك، وراهوي (رهاوي)، وحسيني، وحجازي، وبوسليك، ونوى، وعُشَّاق.

(٦) في الأصل: «الكلام» وضرب عليها، وكتب الناسخ في هامش الأصل: «القول».

وتمت الهوامش والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وصحبه وآله وسلم.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأشعار

فهرس الموضوعات والأبحاث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



